علمُ المعاني

تَقسيمُ الكلامِ إلى خَبرٍ وإنشاء

الأمثلة

(1) قال أبو إسْحاقَ الغَزِّيُّ[1]:

لَوْلَا أبو الطَّيِّب الكِنْدِيُّ ما امْتَلَأَتْ ... مَسَامعُ النَّاس مِنْ مَدْحِ ابْنِ حَمْدَان

(2) وقال أبو الطَّيِّب:

لَا أَشْرَئِبُّ إِلَى ما لَمْ يَفُتْ طَمَعًا ... وَلا أَبِيتُ على ما فاتَ حَسْرَانَا[2]

(3) وقال أبو العَتَاهِيَة:

إنَّ البَخِيلَ وإنْ أَفَـادَ غِنًى ... لَتُرَى عَلَيْهِ مَخَايِلُ الْفَقْرِ[3]

(4) وقال بَعْضُ الحكماء لابْنِه: يَا بُنَيَّ تَعَلَّمْ حُسْنَ الاستماع كما تتعَلَّمُ حُسْنَ الحديث.

(5) وأَوْصى عبدُ الله بنُ عبَّاس[4] رَجُلًا فقال: لَا تتكلَّمْ بمَا لا يَعْنِيك، ودَعِ الكَلَامَ في كَثِيرٍ ممَّا يَعنيك حتَّى تَجِدَ لَهُ مَوْضِعًا.

(6) وقال أَبو الطيب:

لَا تَلْقَ دَهْـرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ... مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ البَدَنُ[5]

البحث

يخبرنا أبو إسحاق الغزِّيُّ بأن أبا الطيب المتنبي هو الذي نشَر فضائل سيف الدولة بن حَمْدَانَ وأذاعها بين الناس، ويقول: لولا أبو الطيب ما ذاعت شهرة هذا الأمير، ولا عَرَفَ

(1) شاعر مجيد، أتى في قصائده الطوال بكل بديع، ولد بغزة، وهي بلدة بالشام وتوفى سنة 524هـ.

(2) اشرأب إلى الشيء: تطلع إليه.

(3) أفاد غنى بمعنى استفاده، والمخايل: العلامات، يقول: إن البخيل تظهر عليه دائمًا أمارات الفقر وعلاماته، وإن كان غنيًا كثير المال.

(4) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أحد أكابر الصحابة في العلم، سمي بالحبر لسعة علمه، ومات بالطائف سنة 68هـ.

(5) يقول: لا تبال الزمان وصروفه ما دمت حيًا؛ فإن الشدة والرخاء يتعاقبان فيه على الحي، فلا يأس مع الحياة.

الناس من شمائله كل الذي عرفوه، وهذا قول يحتمل أن يكون الغزيّ صادقًا فيه كما يحتمل أن يكون كاذبًا؛ فهو صادق إن كان قوله مطابقًا للواقع، كاذبٌ إن كان قوله غير مطابق للواقع. والمتنبي في المثال الثاني يخبر عن نفسه بأنه قانعٌ راض بحاله التي هو فيها، فليس من عادته أن يتطلعَ مستشرفًا إلى ما هو آت، وليس من دأبه أن يَندَمَ على ما فات، ومن المحتمل أن يكون كاذبًا غير صادق. كذلك يجوز أن يكون أبو العتَاهية في المثال الثالث صادقًا فيما قال وادعى، ويجوز أن يكون غير صادق. انظر بعد ذلك إلى المثال الرابع تجد قائله ينادي ولدَه ويأمره أن يتعلم حسْن الحديث، وذلك كلام لا يَصِحُّ أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب؛ لأنه لا يُعْلمُنا بحصول شيء أو عَدم حصوله، وإنما هو ينادي ويأمر. كذلك لا يصح أن يَتَّصِفَ عَبْدُ الله بنُ عباس في المثال الخامس، والمتنبي في المثال السادس بالصدق أو الكذب، لأن كلًّا منهما لا يخْبر عن حصول شيء، أو عَدم حصوله، ولو أنك تتبعت جميع الكلام لوجدته لا يخرج عن هذين النوعين، ويُسمَّى النوعُ الأول خبرًا والنوع الثاني إنشاءً. انظر بعد ذلك إلى الجمل في الأمثلة السابقة أو في غيرها تَجدْ كل جملة مكونَةً من ركْنين أساسيَّين هما المحكوم عليه والمحكوم به، ويسمى الأول مسندًا إليه والثاني مسندًا أما ما عداهما فهو (قيد) في الجملة وليس ركنًا أساسيًّا.

القواعد

(28) الْكلامُ قِسْمَان: خَبَرٌ وإنْشَاءٌ:

(أ) فالخَبَرُ ما يَصِحُّ أنْ يُقَالَ لقَائله إنَّهُ صادقٌ فيه أو كاذبٌ، فإنْ كانَ الكلامُ مُطابقًا للواقعِ كان قائلهُ صادقًا، وإنْ كانَ غيرَ مُطابق لَهُ كان قائلُهُ كاذبًا[1].

(ب) والإنْشَاءُ ما لا يَصِحُّ أنْ يُقَالَ لِقَائله إنَّهُ صَادقٌ فيه أو كاذبٌ.

(29) لكلِّ جُمْلَةٍ مِنْ جُمَل الْخَبر والإنشاءِ رُكْنَان: مَحْكومٌ عليه، وَمحْكوم به،

(1) الخبر إما جملة اسمية وإما جملة فعلية، فالجملة الاسمية تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء ليس غير، فإذا قلت: الهواء معتدل، لم يفهم من ذلك سوى ثبوت الاعتدال للهواء من غير نظر إلى حدوث أو استمرار، وقد يكتنفها من القرائن ما يخرجها عن أصل وضعها فتفيد الدوام والاستمرار كأن يكون الكلام في معرض المدح أو الذم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: 4].

أما الجملة الفعلية فموضوعة لإفادة الحدوث في زمن معين مع الاختصار، فإذا قلت: (أمطرت السماء) لم يستفد السامع من ذلك إلا حدوث الإمطار في الزمن الماضي، وقد تفيد الاستمرار التجددي بالقرائن كما في قول المتنبي:

تدبر شرق الأرض والغرب كفه ... وليس لها يومًا عن المجد شاغل

فإن المدح قرينة دالة على أن التدبير أمر مستمر متجدد آنا فآنًا.

والجملة الاسمية لا تفيد الثبوت بأصل وضعها ولا الاستمرار بالقرائن، إلا إذا كان خبرها مفردًا أو جملة اسمية، أما إذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيد التجدد.

ويُسمَّى الأوَّلُ مُسْنَدًا إليه، والثاني[1] مُسْنَدًا[2]، وَمَا زَادَ عَلى ذلكَ غَيْرَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ والصِّلَةِ فَهُوَ قَيْدٌ[3].

نموذج

لبيان أنواع الجمل وتعيين المسند إليه والمسند في كل جملة رئيسية[4]:

(1) قال عبد الحميد الكاتب[5] يوصي أهل صناعته بمحاسن الآداب: تَنَافَسُوا[6] يا مَعَاشِرَ الكُتَّاب في صُنوف الآداب، وتَفَهَّمُوا في الدِّين، وابْدَءُوا بعلْم كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ العَرَبِيَّة؛ فإنَّها نَفَاقُ ألسِنَتِكمْ[7] ثم أجيدوا الْخَطَّ فإنَّهُ حِلْيَةُ كُتُبِكُمْ، وارْوُوا الأشْعارَ واعْرِفُوا غريبَها ومَعَانِيها وأيَّامَ العَربَ والعَجَم وأحاديثَها وسيرَها، فإنَّ ذلك مُعِينٌ لكمْ عَلَى ما تَسْمُو إِلَيْهِ هِمَمُكُمْ.

(2) قال أبو نُواس:

الـرِّزْقُ والْـجِـرْمَـانُ مَجْرَاهُمَا ... بِـمَـا قَـضَـى الـلـهُ ومَـا قَـدَّرَا

فَـاصْـبِـرْ إِذَا الـدَّهْـرُ نَـبَـا نَـبْـوَةً ... فَـجُـنَّـةُ الـحـازِمِ أَنْ يَـصْـبِـرَا[8]

إجابة (1)

الجملة	نوعها	المسند إليه	المسند
تنافسوا	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل (تنافس)
يا معاشر الكتاب		الفاعل المستتر في الفعل أدعو الذي نابت عنه يا	الفعل (أدعو)
وتفهموا في الدين	"	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل (تفهم)
وابدءوا بعلم كتاب الله	"	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل ابدأ

(1) مواضع المسند إليه الفاعل ونائبه والمبتدأ الذي له خبر وما أصله المبتدأ كاسم كان وأخواتها.

(2) مواضع المسند هي الفعل التام، والمبتدأ المكتفي بمرفوعه، وخبر المبتدأ، وما أصله خبر المبتدأ كخبر كان وأخواتها، واسم الفعل، والمصدر النائب عن فعل الأمر.

(3) القيود هي أدوات الشرط والنفي والمفاعيل والحال والتمييز والتوابع والنواسخ.

(4) تنقسم الجملة عند علماء المعاني إلى جملة رئيسية وجملة غير رئيسية، والأولى هي المستقلة التي لم تكن قيدًا في غيرها. والثانية ما كانت قيدًا في غيرها وليست مستقلة بنفسها.

(5) هو أبو غالب بن يحيى بن سعد، كان كاتبًا مبدعًا، وقد برع في إنشاء الرسائل وضرب المثل ببلاغته في الكتابة حتى قال الثعالبي: فتحت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد، وقد كتب لمروان آخر ملوك بني أمية وقتل معه سنة 135 هـ.

(6) تنافسوا: تباروا. (7) نفاق ألسنتكم: رواج كلامكم.

(8) نبا نبوة: أساء إساءة من قولهم: نبا السيف إذا لم يعمل في الضريبة، وجنة الحازم: وقايته.

الجملة	نوعها	المسند إليه	المسند
فإنها نفاق ألستكم	خبرية	اسم إن (الضمير المتصل)	خبر إن (نفاق)
أجيدوا الخط	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	الفعل (أجدْ)
فإنه حلية كتبكم	خبرية	اسم إن (الضمير المتصل)	خبر إن (حلية)
وارؤُوا الأشعار	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	فعل الأمر (ارو)
واعرفوا غريبها	إنشائية	الفاعل (واو الجماعة)	فعل الأمر (اعرف)
فإن ذلك معين لكم	خبرية	اسم إن (اسم الإشارة)	خبر إن (معين)

إجابة (2)

الجملة	نوعها	المسند إليه	المسند
الرزق والحرمان إلى آخر البيت	خبرية	المبتدأ (الرزق)	الخبر (جملة مجراهما إلخ)
فاصبر	إنشائية	الفاعل (الضمير في اصبر)	الفعل (اصبر)
فجنة الحازم أن يصبر	خبرية	المبتدأ (جنة الحازم)	الخبر (أن يصبر)

تمرينات

(1)

ميِّز الجمل الخبرية من الجمل الإنشائية وعيِّن المسند إليه والمسند فيما يأتي:

(أ) مما يُنْسَبُ لعليٍّ بن أبي طالب رَضي الله عنه في رسالة إلى الحارث الهَمذاني[1]: تمسَّك بحبْل القرآن واسْتَنْصحْه، وأحلِّ حلالَهُ وحرِّم حرامه، واعْتبر بمَا مَضَى من الدنيا ما بَقِيَ منها[2] فإن بعضَها يُشْبهُ بَعْضًا، وآخِرُها لاحقٌ بأوَّلها، وكلها حائلٌ مفارقٌ[3]، وعظِّم اسْم الله أن تذكُرَهُ إلا على حقّ[4].

(ب) ومما يُنْسَبُ إليه أيضًا: تَوقوا البَرْدَ في أوَّلِه، وتَلَقَّوْه في آخِره، فإنه يَفْعَلُ بالأبدانِ كفِعْله في الأشْجَار، وأوَّلُهُ يحرِقُ، وآخِرُه يُورق.

(1) هو الحارث بن عبد الله بن كعب الهمذاني الكوفي، كان رواية لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، توفى سنة 70هـ.

(2) اعتبر: قس، والمعنى قس الباقي بالماضي.

(3) حائل: متغير.

(4) أي لا تحلف بالله إلا على حق تعظيمًا له وإجلالًا.

(ج) وكتَبَ بعض البلغاء في الاستعطاف: لُذْتُ بعفْوكَ، واستجَرتُ بصَفْحِكَ، فأذِقْني حَلاوةَ الرِّضا، وأنْسِني مَرَارة السُّخْط فيما مَضَى.

(2)

تفهم الأبيات الآتية، وميِّز فيها الجملَ الخبريةَ من الجمل الإنشائية، وعيِّن المسند إليه والمسند في كل جملة:

(أ) قال صاحب العقْد الفريد[1] يصف الدُّنيا:

ألا إنما الدُّنْيا نَضارَةُ أيْكَةٍ ... إذَا اخْضَرَّ منها جانبٌ جَفَّ جانبُ[2]

هيَ الدارُ مَا الآمالُ إلا فَجَائعٌ ... عَلَيْهَا ولَا اللَّذَاتُ إلا مَصَائب

فَلَا تَكْتَحِلْ عيْنَاكَ فيها بِعَبْرَةٍ ... على ذَاهِبٍ مِنْهَا فإنَّكَ ذَاهِبُ[3]

(ب) وقال ابن المعتز:

لَيْسَ الكريمُ الذي يُعْطِي عَطِيَّتَهُ ... عَنِ الثناءِ وإنْ أغْلى به الثَّمَنَا

بل الكَريمُ الذي يُعْطي عَطِيَّتَهُ ... لِغَيْرِ شَيءٍ سِوَى اسْتِحْسَانِهِ الحَسَنَا

لا يَسْتَثِيبُ بِبَذْلِ العُرْفِ مَحْمَدَةً ... ولَا يَمُنُّ إذَا ما قَلَّدَ المِنَنَا[4]

(3)

انثر البيتين الآتيين نثرًا فصيحًا، ثم عيِّن الجمل الخبرية الجمل الإنشائية التي تأتي بها في نثرك:

ولَا تَصْطَنِعْ إلا الكِرَامَ فإنهم ... يُجازُون بالنَّعماءِ مَنْ كان مُنْعِمَا[5]

ومَنْ يتَّخِذْ عند اللئامِ صَنيعةً ... تَجِدْهُ على آثارها مُتَنَدِّمَا[6]

(4)

(أ) صف حياة القرويين في أسلوب خبري لا يتخلله شيء من الجمل الإنشائية.

---

(1) هو أحمد بن محمد الفرطبي المشهور بابن عبد ربه، كان عالمًا أديبًا كثير الحفظ والاطلاع على أخبار الناس، وقد اشتهر بكتابه العقد الفريد، توفي سنة 328هـ.

(2) النضارة: الحسن والرونق، والأيكة: الشجرة. (3) العبرة: الدمعة قبل أن تفيض.

(4) يستثيب: يسأل أن يثاب. والعرف: المعروف. والمحمدة: الحمد. ويمن: يمتن بتعداد النعم. وقلد المنن: أولاها. والمنن: جمع منة وهي النعمة، يقول: إن الكريم هو الذي يبذل المعروف ولا يطلب عليه حمدًا، ويولي الجميل ولا يمتن به.

(5) اصطنع الكرام: أحسن إليهم، والنعماء: النعمة والإحسان. (6) الصنيعة: اليد والإحسان.

(ب) اكتب إلى أرمَدَ ترجو له الشفاء، وتنصحه بما يساعده على السلامة من دائه، وضمِّن رسالتك إليه طائفةً من الجمل الإنشائية.

الخَبَرُ

(1) الغرضُ من إلقاء الخبر

الأمثلة

(1) ولِدَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَليهِ وسَلَّمَ عَامَ الفِيل [1]، وَأُوحيَ إِلَيه فِي سنِّ الأَربَعين، وأَقامَ بمَكةَ ثَلاثَ عشْرَةَ سنَةً، وَبالْمَدينَةِ عَشْرًا.

(2) كانَ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز [2] لا يَأْخُذُ مِنْ بَيْتِ المال شيئاً، وَلا يُجْري عَلَى نَفسِهِ مِنَ الفَيْءِ [3] دِرْهَماً.

(3) لَقَدْ نَهضْتَ مِنْ نَوْمِكِ اليومَ مُبكرًا (4) أَنْتَ تَعْمَلُ فِي حَدِيقَتِك كلَّ يَوْم.

(5) قال يَحيَى البَرْمَكيُّ [4] يُخاطِبُ الخليفةَ هارُونَ الرَّشيد [5]:

إن البرامكة الذين رُمُوا لَدَيْك بداهيَهْ
صُفْرُ الوُجوهِ عَلَيْهِمُ خِلَعُ المَذَلَّةِ بَادِيَهْ [6]

(6) قال الله تعالى حكاية عن زكريَّا عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: 4].

(7) قال أحد الأعراب يرثي وَلَدَهُ:

لَمَّا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ والأسى أجابَ الأسى طَوْعًا ولَمْ يُجبِ الصَّبْرُ [7]
فإنْ يَنْقطِعْ منكَ الرَّجاءُ فإنَّه سَيَبْقَى عليكَ الحُزْنُ ما بَقِيَ الدَّهْرُ

(1) عام الفيل: هو العام الذي غزا فيه أبرهة ملك اليمن مكة، ثم رجع عنها خائبا بعد أن تفشى المرض في جنده. ومات فيله.

(2) هو الخليفة الصالح والملك العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي. ولي الخلافة سنة 99 هـ وتوفي سنة 101هـ و أخبار عدله وزهده كثيرة مشهورة.

(3) الفيء: الخراج والغنيمة.

(4) هو أبو الفضل يحي بن خالد بن برمك وزير هارون الرشيد، كان كاتبا بليغا صائب الرأي حسن التدبير، يباري الريح كرما وجودا، سجنه هارون الرشيد حين تغير على البرامكة، وبقي في سجنه حتى مات سنة 190هـ

(5) هو أحد الخلفاء العباسيين المشهورين بالفضل والفصاحة والكرم، كان يحب الشعراء ويميل إلى أهل الأدب والفقه، بويع بالخلافة سنة 170 هـ وتوفي بطوس سنة192 هـ.

(6) الخلع: الملابس، يقول: إن ملابس الذل ظاهرة عليهم. (7) الأسى: الحزن

(8) قال عَمْرُو بْنُ كُلْثوم [1]:

إذَا بَـلَـغَ الـفِـطَـامَ لَـنَـا صَبِيٌّ تَـخِـرُّ لَـهُ الـجَـبَـابِـرُ سَاجِدِينَا

(9) كَتَبَ طَاهِرُ بْنُ الحُسَيْن [2] إلى العباس بن موسى الهادي [3] وقَدْ استبطأه في خَراج ناحيته:

وَلَيْسَ أَخُو الحاجاتِ مَنْ بات نائمًا وَلَكِنْ أَخُوها مَنْ يَبِيتُ على وَجَلْ

البحث

تدبَّر المثالين الأَولين تجد المتكلم إنما يَقْصِد أَن يُفيد المخاطب الحكم الذي تضمنه الخبرُ في كل مثال، ويسمىَّ هذا الحكم فائدة الخبر، فالمتكلم في المثال الأول يريد أن يُفيد السامع ما كان يجهله من مَوْلِد الرسول صلى الله عليه وسلم، وتاريخ الإيحاء إليه، والزمن الذي أقامه بعد ذلك في مكة والمدينة. وهو في المثال الثاني يخبره بما لَم يكن يعرفه عن عُمَرَ بن عبد العزيز من العِفة والزهد في مال المسلمين. تأمل بعد ذلك المثالين التاليين، تجد المتكلم لا يَقْصد منهما أن يفيد السامع شيئًا مما تضمنه الكلام من الأحكام؛ لأنَّ ذلك معلومٌ للسامع قبل أَن يعْلمه المتكلم، وإنما يريد أن يبين أنه عالم بما تضمنه الكلام. فالسامع في هذه الحال لم يستفد علمًا بالخبر نفسه، وإنما استفاد أنَّ المتكلم عالمٌ به، ويسمَّى ذلك لازمَ الفائدة. انظر إلى الأمثلة الخمسة الأخيرة تجد أنَّ المتكلم في كل منها لا يقصد فائدة الخبر و لا لازم الفائدة، وإنما يَقْصد إلى أشياءَ أخرى يَسْتطلعها اللبيب ويَلمَحُها منْ سِياق الكلام، فيحيى البرمكي في المثال الخامس لا يقصد أن ينبئ الرشيد بما وصل إليه حاله وحال ذوي قُرْباه من الذل والصَّغار، لأن الرشيد هو الذي أمر به فهو أولى بأن يعلمه، ولا يريد كذلك أن يفيده أنه عالم بحال نفسه وذوي قرابته. وإنما يَستعطفه و يسترحمه ويرجو شفقته، عسى أَن يصغي إليه فيعودَ إلى البرّ به والعطف عليه. وفي المثال السادس يصف زكريا عليه السلام حالَه ويُظهر ضعفه ونفاد قوته. والأعرابيُّ في المثال السابع يتحسر ويُظهر الأسى والحزن على فقْد ولده و فلذة كَبده. وعمْرو بن كلثوم في المثال الثامن يَفخَر بقومه، ويباهي بما لهم من البأس والقوة: وطاهرُ بنُ الحسين في المثال الأخير لا يقصد الإخبار. ولكنه يَحُثُّ عاملَه على النشاط و الجدِّ في جباية الخراج ،وجميع هذه الأغراض الأَخيرة إنما تفهَم من سياق الكلام لا منْ أَصْل وضْعِه.

(1) هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم، ينتهي نسبه إلى تغلب، و هو صاحب المعلقة التي مطلعها: (ألا هبي بصحنك فاصبحينا).

(2) هو أبو الطيب طاهر بن الحسين من كبار الوزراء أدبا وحكمة وشجاعة، وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي وتوفى بمدينة مرو سنة 207 هـ.

(3) هو ثالث أبناء موسى الهادي الخليفة العباسي الرابع، كان عاملا على الكوفة من قبل الأمين، وتوفي سنة 196هـ.

القواعد

(30) الأَصْلُ في الخَبر أن يُلقَى لأحد غَرَضيْن:

(أ) إفَادَةُ المخاطَب الحُكْمَ الذي تَضَمَّنَتْهُ الجُمْلَةُ، وَيسَمَّى ذلك الْحُكْمُ فَائِدَةَ الخَبر.

(ب) إفادة المخاطب أنَّ المتكلِّم عالمٌ بالحكْم، ويُسَمَّى ذلك لازمَ الفائدة.

(31) قَدْ يُلْقَى الخَبْرُ لأغراض أخرى تُفْهَمُ مِنَ السِّيَاق، مِنْها ما يأتي:

(أ) الاسترحامُ (ب) إظْهارُ الضعْف. (ج) إظْهارُ التحسر.

(د) الفَخرُ. (هـ) الحَثُّ على السعي والجدِّ.

نموذج

في بيان أغراض الأخبار

(1) كان مُعاويةُ [1] رضي الله عنه حَسَنَ السياسةِ و التَّدْبير، يحْلُمُ في موضع الْحِلْم، وَيَشْتَدُّ في موضِع الشِّدَّة.

(2) لَقدْ أدَّبتَ بَنِيكَ باللين والرفق لا بالقَسْوَةِ والعِقاب.

(3) تُوفيَ عُمَرُ بنُ الخطاب رَضي الله عنه سَنَةَ ثلاثٍ وعشرين من الهجرة.

(4) قال أبو فِراس الحَمدَاني:

ومَكارمي عددُ النجومِ ومنزلي ... مأْوَى الكِرَامِ، وَمَنزِلُ الأَضْيَافِ

(5) قال أبو الطيب:

وَمَا كُلّ هَاوٍ للجَميلِ بفاعِلٍ ... وَلا كُلُّ فَعّالٍ لَهُ بِمُتَمِّمِ

(6) وقال أيضا يَرثي أخت سَيْف الدَّوْلة:

غدَرْتَ يا مَوْتُ كم أفنَيتَ من عدَدٍ ... بمَنْ أصَبْتَ وكم أسكَتَّ من لجَبِ [2]

(7) قال أبو العتاهية يَرثي وَلَدَهُ علياً:

بكيتُكَ يا عليُّ بدَمْع عيني ... فَمَا أغنى البُكاء عليك شيًا

---

(1) هو من أجلة الصحابة، وأحد كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، يضرب المثل بحلمه و كياسته، وهو أول ملوك الدولة الأموية، استقام له الملك عشرين سنة، وتوفى سنة 60هـ.

(2) اللجب: الضجيج واختلاف الأصوات، يقول غدرت يا موت بسيف الدولة حين اغتلت أخته، وكنت تغني به العدد الكثير من أعدائه وتسكت لجبهم.

وكانَتْ في حَيَاتك لي عِظاتٌ ... وأنْتَ اليومَ أوعَظُ مِنْكَ حَيا

(8) إنَّ الثَّمانِينَ وبُلِّغْتَها ... قد أَحْوَجَتْ سَمْعِي إلى تُرْجُمانِ

(9) و قال أبو العلاء المعرِّي:

وَلِي منطِقٌ لَم يرْضَ لي كُنْه منزلي ... عَلَى أنني بيْنَ السِّماكَيْنِ نازلُ[1]

(10) قال إبراهيمُ بن المَهْدي [2] يخاطب المأمون :

أتَيْتُ جُرْمًا شنيعًا ... وأنْتَ لِلْعَفْوِ أهْلُ

فإنْ عَفَوْتَ فَمَنٌّ ... وإنْ قَتَلْتَ فَعَدْلُ

الإجابة

(1) الغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.

(2) الغرض إفادةُ المخاطب أنَّ المتكلم عالم بحاله في تهذيب بنيه.

(3) الغرض إفادةُ المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام.

(4) الغرض إظهارُ الفخر، فإنَّ أبا فِراس إنما يُريد أن يفاخر بمكارمه وشمائله.

(5) الغرض إفادةُ المخاطب الحكم الذي تضمنه الكلام، فإنَّ أبا الطيب يريد أن يبين لسامعيه ما يراه في بعض الناس من التقصير في أعمال الخير.

(6) الغرض إظهارُ الأسى والحزن. (7) الغرضُ إظهار الحزن والتحسر على فقد ولده.

(8) الغرض إظهارُ الضعف والعجز. (9) الغرض الافتخارُ بالعقل واللسان.

(10) الغرض الاسترحامُ والاستعطاف.

تمرينات

(1)

بيِّنْ أغراضَ الكلام فيما يأتي:

(1) مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ.

(1) السماكان: نجمان نيران يقال لأحدهما الأعزل وللآخر الرامح، يقول: إن له عقلا ولساناً جعلاه يستصغر المنزلة الرفيعة التي هو فيها، على أنها لرفعتها تشبه ما بين السماكين.

(2) إبراهيم بن المهدي هو عم المأمون وأخو هارون الرشيد، كان وافر الفضل غزير الأدب، لم ير في أولاد الخلفاء أفصح منه لساناً ولا أحسن منه شعرا. بويع له بالخلافة ببغداد سنة 202هـ ومات بسر من رأى سنة 224هـ.

(2) إنكَ لتَكْظِمُ الغَيْظَ وتَحْلُمُ عندَ الغضبِ، و تَتجاوزُ عند القُدْرة، وتَصْفحُ عن الزَّلة.

(3) قال أبو فِراس الْحَمْدَاني:

إنّـــا إذَا اشْـــتَـــدّ الـــزّمَـــا ... نُ وَنَـــابَ خَـطْـبٌ وَادْلَـهَـمْ [1]

ألْـفـيـــتَ حـــولَ بـيـوتـنـا ... عُـــدَدَ الـشّـجَـاعَـة وَالـكَـرَمْ [2]

لِـلـقَـا الـعِـدَى بِـيـضُ السّيُو ... فِ وَلِـلـنّـدَى حُـمْـرُ النَّعَمْ [3]

هَـــذَا وَهَـــذَا دَأْبُـــنَـــا ... يُـــودَى دمٌ ويـــراقُ دمْ [4]

(4) قال الشاعر :

مَضَت الليالي البيضُ في زَمَن الصِّبا ... وَأَتَـى الْمَشِيبُ بِكَل يوْم أَسْـودِ

(5) قال مروانُ بْنُ أبي حَفْصَةَ [5] من قصيدة طويلة يَرثي بها معْن بن زائدةَ [6]

مَـضَـى لِسَبِيلِهِ مَـعْـنٌ وأبْـقَـى ... مَـكـارِمَ لَـنْ تَبِيدَ ولَـنْ تُنالا [7]

كَـأَنَّ الشَّمْسَ يومَ أُصِيبَ مَعْنٌ ... مِـن الإظْـلام مُـلْـبَـسَـةٌ ظِـلالا

هـوَ الجَبَلُ الـذي كـانَـتْ نِـزارٌ ... تَهُدُّ مِـن الـعَـدُوِّ به الجِبالا [8]

فـإن يَـعْـلُ الـبِـلادَ لـه خُـشُـوعٌ ... فقَدْ كانَتْ تَطُولُ به اخْتِيالا [9]

أصَـابَ الموْتُ يَـوْمَ أصاب مَعْنًا ... مِنَ الأحْياء أكْرَمَهُمْ فَعالاَ [10]

وكـانَ الـنّـاسُ كـلُّـهُـمُ، لمَعْنٍ ... إلى أنْ زارَ حُفْرَتَهُ عِيالا [11]

(6) وقال آخر:

(1) ادلهم الليل: اشتدت ظلمته، وادلهم الخطب: اشتد وعظم.

(2) عدد الشجاعة: آلات الحرب وعدد الكرم: وسائل الجود والعطاء. (3) حمر النعم: الإبل الحمراء

(4) يودي دم: تعطى ديته، أي نحن شجعان نقتل أعداءنا وبعد الظفر نؤدى دية القتلى، ويراق دم: يسال للقرى. و قد تكون يودى من ودى بمعنى سال ويقصد به سفك دم الأعداء..

(5) ولد مروان باليمامة، وقدم بغداد ومدح المهدي وهارون الرشيد، واتصل بمعن بن زائدة ومدحه ورثاه بقصائد غراء، فضل بها على شعراء زمانه، وتوفى ببغداد سنة 181 هـ.

(6) هو أبو الوليد معن بن زائدة، كان جوادا شجاعا جزيل العطاء، خصه مروان بن أبي حفصة بأكثر مدائحه وقد عاش في دولتي بني أمية وبني العباس، ثم قتله قوم من الخوارج سنة 151هـ.

(7) لن تبيد ولن تنال: أي لن يفنى ذكرها ولن يستطيع أحد أن يكون له مثلها.

(8) نزار: قبيلة من قبائل العرب، أبوها نزار بن معد.

(9) الخشوع: السكون وغض الصوت والبصر، تطول: تمتد، والاختيال: الكبر، يقول: إن أصاب البلاد لموته خشوع غض من أبصارها فقد رفعت بحياته رأسها مباهاة وكبرًا.

(10) الفعال بالفتح: الفعل وهو مصدر كالذهاب. (11) عيال الرجل: من يعولهم وهو جمع عيل.

فما لي حيلةٌ إلا رجائي ... لعفوكَ إن عَفَوْتَ وحُسْنَ ظَنِّي
فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي في الخَطَايا ... عضَضْتُ أناملي وقَرَعْتُ سِنِّي[1]
يظنُّ الناسُ بي خيرًا وإنِّي ... لَشَرُّ الخَلْقِ إن لم تَعْفُ عَنِّي

(7) وقال أبو نواس في مرض موته :

دَبَّ فِيَّ السّقامُ سُفْلًا وَعُلْوَا ... وأراني أموتُ عُضْوًا فَعُضْوَا
ذَهَبتْ جِدَّتي بطاعَةِ نَفسي ... وتذَكَّرتُ طاعَةَ الله نِضْوا[2]
لَهْفَ نَفْسي على لَيالٍ وأيّا ... مٍ تَجاوَزْتُهنَّ لِعْبًا، ولَهْوَا
قد أساءَتْ كلَّ الإساءَةِ فاللّـ ... ـهُمَّ صَفحًا عنّا وغفرًا وعفْوَا

(8) إنك إذا رأيتَ في أخيك عَيْبًا لم تكتمْهُ

(9) قال ابْن نُباتَةَ السعدي :

يفُوتُ ضَجيعَ التُّرَّهاتِ طِلابُه ... ويدْنُو إلى الحاجَاتِ منْ بَاتَ ساعيَا[3]

(10) قال الأمير أبو الفَضْلِ عُبَيْدُ الله [4] في وصف يوم ماطر :

دَهتنا السَّماءُ على حِينِ صَحْوٍ ... بِغَيْثٍ على هامِنَا مُسْبِلِ
وأشرفَ أصْحَابُنا من أذاهُ ... على خَطَرٍ هائلٍ مُعضِلِ
فمنْ لائذٍ بفِنَاءِ الجِدارِ ... وآوٍ إلى نَفَقٍ مُهمَلِ
وجادتْ علينا سَمَاءُ السُّقوفِ ... بدمعٍ من الوَجدِ لم يُهملِ[5]

(11) قال الجاحظ[6] :

المَشورةُ لِقَاحُ العقولِ، ورائدُ الصواب. والمُسْتَشِيرُ عَلَى طَرَفِ النجاح، واستنارةُ المرءِ برأي أخيه من عَزم الأمور وحزْم التدبير.

(1) عضضت أناملي وقرعت سني: أي ندمت من أجلها.
(2) جد الشيء جدة: صار جديدًا، والنضو: الثوب الخلق والبعير المهزول، يقول: إنه أطاع هواه في أيام شبابه ولم يتذكر طاعة الله إلا وقت الهرم والضعف.
(3) الضجيع : المضاجع، والترهات: الأباطيل و الأماني الكاذبة، والطلاب: الشيء المطلوب، يقول: لا يدرك غايته إلا الساعي المجد، أما الذي يعلل نفسه بالأماني الكاذبة ولا يشمر عن ساعد الجد في سبيل الحصول عليها فعاقبته الحرمان.
(4) هو أبو الفضل الميكالي، كان واحد خراسان في عصره أدبا وفضلا ونسبا. وله ديوان رسائل، وديوان شعر، وتصانيف أخرى كثيرة، توفي سنة 436هـ.
(5) همليت العين: سال دمعها، يقول: إن بكاء السقوف لم يكن بسبب الحزن كما هو المألوف بل كان بسبب المطر.
(6) هو أبو عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ، كان عالمًا أديبًا، وله تصانيف في فنون كثيرة، وإليه تُنسب الطريقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة، ومن أحسن تصانيفه كتاب الحيوان، وكتاب البيان والتبيين، توفي سنة 255هـ.

(12) قال المتنبي وهو مريض بالحمَّى :

أَقَمْتُ بِأَرْضِ مِصرَ فَلا وَرَائِي ... تَخُبُّ بِيَ الرِّكَابُ وَلا أَمَامِي[1]

وَمَلَّنِيَ الفِرَاشُ وَكَانَ جَنبي ... يَمَلُّ لِقَاءَهُ فِي كُلِّ عَامِ[2]

(2)

اُنثر قول أبي الطيب، وبيِّن غرضه :

إِنِّي أُصَاحِبُ حِلمي وَهْوَ بِي كَرَمٌ ... وَلا أُصاحِبُ حِلمي وَهوَ بي جُبنُ

وَلا أُقِيمُ على مَالٍ أَذِلُّ بِهِ ... وَلا أَلَذُّ بِمَا عِرْضِي بِهِ دَرِنُ[3]

(3)

صفْ وطنكَ واجعل غرضكَ من الوصف الفخرَ بمكانه، وهوائه، وصفاء سمائه، وخِصْب أرضه، وارتقاء عمرانه.

(4)

(1) كوِّنْ ست جمل خبرية تكون الثلاث الأولى منها لإفادة المخاطب حكمها. والثلاث الأخيرة لإفادته أنك عالمٌ بالحكم.

(2) كوِّنْ ثلاث جمل تفيد بسياقها وقرائن أحوالها الاستعطافَ وإظهارَ الضعف والتحسُّر.

(3) كوِّن ثلاث جمل تفيد بسياقها وقرائن أحوالها الحثَّ على السعي والتوبيخ والفخر على الترتيب.

أَضْرُب الخبر

الأمثلة

(1) كتبَ معاويةُ رضي الله عنه إلى أحد عماله فقال : لا ينبغي لَنَا أن نَسُوس الناسَ سياسةً واحدةً، لا نَلِينُ جميعًا فَيَمْرَح[4] الناسُ في المَعْصِيَة، ولا نَشْتَدُّ جميعاً فَنحْمِلَ الناسَ على المهالك، ولكنْ تكونُ أنت للشِّدةِ والغِلْظَة، وأَكون أنا لِلرأفةِ والرحمةِ.

(1) تخب: تعدو، والركاب: الإبل، يعنى أنه لزم الإقامة بمصر فلم يبرحها لضعفه.
(2) يعنى أن مرضه طال حتى مله فراشه بعد أن كان هو يمل الفراش ولو لقيه مرة كل عام.
(3) الدرن: الوسخ (4) يمرح: ينشط و يتبختر.

(2) قال أبو تمام:

ينالُ الفتى من عيشهِ وهو جاهلٌ ويُكْدِي الفتَى في دَهْرِهِ وَهْوَ عَالِم[1]

ولَوْ كانَتِ الأرزَاقُ تَجْري على الحِجَا[2] هلكْنَ إذًا مِنْ جَهْلِهِنَّ البَهَائِمُ

(3) قال الله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 18][3].

(4) قال السَرِيّ الرَّفاء:

إنَّ البِنـاءَ إذا مـا انـهـدَّ جانبُه لم يأمَنِ الناسُ أنْ يَنهدَّ باقِيه

(5) قال أبو العباس السفاح [4]: لأُعْمِلَنَّ اللِّينَ حتَّى لا يَنْفَع إلا الشِّدةُ، و لأكْرِمَنَّ الخاصة ما أَمِنْتُهم على العامة، ولأُغْمِدَنَّ سيفي حتى يَسُلَّه الحق، ولأُعْطِيَنَّ حتى لا أرى لِلعطية مَوْضِعاً.

(6) قال الله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: 186][5].

(7) واللـهِ إنـي لأخـو هِـمَّـةٍ تَسْمو إلى المجد و لا تَفْتُر[6]

البحث

إذا تأملت الأمثلة المتقدمة وجدتها أخبارا، ووجدتها في الطائفة الأولى خالية من أدوات التوكيد. و في الطائفتين الأخيرتين مؤكدة بمؤكِّد أو مؤكِّدين أو أكثر، فما السرُّ في هذا الاختلاف؟ إذا بحثت لم تجد لذلك سببًا سوى اختلاف حال المخاطب في كل موطن، فهو في أمثلة الطائفة الأولى خالي الذهن من مضمون الخبر، و لذلك لم ير المتكلم حاجة إلى توكيد الحكم له، فألقاه إليه خاليا من أدوات التوكيد، ويسمَّى هذا الضرب من الأخبار **ابتدائيًا**. أما في الطائفة الثانية فالمخاطب له بالحكم إلمام قليل يمتزج بالشك، وله تشوُّف إلى معرفة الحقيقة، و في مثل هذه الحال يحسن أن يلقَى إليه الخبر و عليه مِسْحَةٌ من اليقين تجلو له الأمر وتدفع عنه الشبهة. ولذلك جاءَ الكلام في المثال الثالث مؤكدا «بقد» و في الرابع مؤكدًا «بإن» ، ويسمَّى هذا الضرب **طلبيًّا**. أما في الطائفة الأخيرة فالمخاطب منْكرٌ للحكم جاحد له. وفي مثل هذه الحال يجب أن يُضَمَّن الكلام من وسائل التقوية والتوكيد

(1) يكدي: يقل ماله. (2) الحجا: العقل.

(3) المعوقين: من قولهم عوقه عن الأمر صرفه عنه و ثبطه، هلم: تعالوا، و البأس: الحرب، والمعنى أن الله يعلم المنافقين الذين يثبطون أمثالهم عن نصرة النبي صلى الله عليه وسلم، ويقولون لهم : تعالوا معنا و دعوا محمدا، وهم مع هذا يحضرون الحرب ساعة مع المسلمين رياء منهم و نفاقا ثم يتسللون.

(4) هو أول الخلفاء العباسيين، بويع بالخلافة سنة 132هـ و كان جوادا كريم الأخلاق توفي بالأنبار سنة 136هـ.

(5) لتبلون: لتختبرن. (6) تفتر: تضعف.

ما يدفع إنكار المخاطب ويدعوه إلى التسليم، ويجب أن يكون ذلك بقدر الإنكار قوة و ضعفا، ولذلك جاءَ الكَلام في المثالين الخامس والسادس مؤكدًا بمؤكدين هما القسم ونون التوكيد. أما في المثال الأخير فقد فرض الشاعر أن الإنكار أقوى. ولهذا أكده بثلاثة أدوات هي: القسم وإنّ واللام، ويسمى هذا الضرب إنكاريًا. ولتوكيد الخبر أدوات كثيرة سنأتي عند ذكر القواعد على طائفة صالحة منها.

القواعد

(32) لِلْمخَاطب ثَلاَثُ حالاتٍ:

(أ) أَن يَكونَ خالي الذِّهْنِ مِنَ الحُكْم، وفي هذه الحال يُلْقَى إِلَيْهِ الخبَرُ خاليًا مِنْ أدواتِ التوكيد، ويُسَمَّى هذا الضَّرْبُ مِنَ الخَبر ابتدائيًا.

(ب) أن يكونَ مُتَرَدِّدا في الحكْم طالبًا أَنْ يَصِلَ إلى اليقين في معرفَتِه، و في هذه الحال يَحْسُنُ توكيده له لِيَتَمَكنَ مِنْ نفسه، ويُسَمَّى هذا الضَّرب طلبيًّا.

(جـ) أَنْ يَكون مُنْكِرًا لهُ، وفي هذه الحال يَجبُ أَنْ يُؤَكَّدَ الْخَبَر بمؤكِّدٍ أَوْ أَكْثَرَ على حَسب إنكاره قوّةً وضَعْفاً، وَيُسَمَّى هذا الضَّرْبُ إنكاريًّا [1].

(33) لِتَوْكِيد الخَبَرِ أدواتٌ كثيرَةٌ منها إنّ، وأَنَّ، والقَسمُ، ولاَمُ الابْتِدَاء، ونُونَا التَّوْكِيد، وأَحْرُفِ التَّنْبيه، و الْحُرُوفُ الزَّائِدَةُ، وقَدْ، و أَمَّا الشَّرْطِيَّةُ.

نموذج

في تَعْيِين أضرب الخَبَر و أدوات التَّوْكيد

(1) قال أبو العتاهية :

إنـي رأيْـتُ عَـوَاقِـب الـدُّنيَـا ... فَتَركتُ ما أهـوى لما أَخشى

(2) قال أبو الطيب :

عَلى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تأتي العَزائِمُ ... وَتأتي علَى قَدْرِ الكِرامِ المَكارِمُ [2]

وتكْبُرُ في عَينِ الصّغيرِ صغارُها ... وَتَصْغُرُ في عَين العَظيمِ العَظائِمُ [3]

(1) وضع الخبر ابتدائيا أو طلبيا أو إنكاريا إنما هو على حسب ما يخطر في نفس القائل من أن سامعه خالي الذهن أو متردد أو منكر، وقد يعدل المتكلم أحيانًا عن التأكيد، و قد يؤكد ما لا يتطلب التأكيد لأغراض سنبينها بعد.

(2) العزائم: جمع عزيمة و هي الإرادة ، و المكارم: جمع مكرمة اسم من الكرم. و المعنى أن العزائم والمكارم تأتي على قدر فاعليها، و يقاس مبلغها بمبلغهم ، فتكون عظيمة إذا كانوا عظاما.

(3) الضمير في صغارها يعود على العزائم و المكارم، أي أن الصغير منها يعظم في عين الصغير القدر لأنه يستنفد همته، و العظيم يصغر في عين العظيم القدر لأن في همته زيادة عليه.

(3) و قال حَسان بن ثابت رضي الله عنه :

وإني لحلوٌ تعتريني مرارةٌ وإنِّي لتَرَّاكٌ لما لَمْ أعوَّدِ

(4) قال الأُرجانيُّ [1]:

إنا لفي زَمَن ملآنَ مِنْ فِتَن فلا يُعابُ به ملآنُ من فَرَقِ [2]

(5) وقال لبيد [3]:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّتي إنَّ الْمَنَايَا لا تَطِيشُ سِهَامُها [4]

(6) وقال النابغَةُ الذبيانيُّ :

ولَسْتَ بمُسْتَبْقٍ أَخًا لا تَلُمُّهُ على شَعَثٍ أَيُّ الرجالِ المُهَذَّبُ [5]

(7) قال الشريفُ الرضيُّ :

قَدْ يَبْلُغُ الرَّجُلُ الجَبَانُ بِمَالِهِ مَا لَيسَ يَبلُغُهُ الشّجَاعُ المُعدِمُ

الإجابة

رقم العبارة	الجملة	ضرب الخبر	أدوات التوكيد
1	أنى رأيت	طلبي	إنّ
	فتركت ما أهوى	ابتدائي	
2	على قدر أهل العزم الخ	ابتدائي	
	وتأتى على قدر الكرام الخ	ابتدائي	
	وتكبر في عين الصغير الخ	ابتدائي	
	وتصغر في عين العظيم الخ	ابتدائي	

(1) هو القاضي ناصح الدين أبو بكر الأرجاني، و الأرجاني نسبة إلى الأرجان « بلد بفارس» كان فقيها شاعرا كثير الشعر رقيقه، و قد توفي سنة 545هـ .

(2) الفرق الخوف.

(3) هو لبيد بن ربيعة أحد الشعراء المجيدين و الفرسان المعمرين، أسلم و حسن إسلامه، قيل إنه مات و عمره 145 سنة. عاش منها 90 سنة في الجاهلية و له المعلقة المشهورة.

(4) لا تطيش: أي لا تخطئ، و كل سهم يخطئ و يصيب إلا سهم المنية فإنه قاتل لا محالة.

(5) لا تلمه: أي لا تجمعه إليك، والشعث: انتاخ الرأس من الغبار، والمقصود على ما به من الهفوات، ومعنى قوله أي الرجال المهذب: ليس في الناس كامل لا عيب فيه.

3	وإني لحلو تعتريني مرارة وإني لتراك	إنكاري إنكاري	إن واللام إن واللام
4	إنا لفي زمن الخ البيت فلا يعاب إلخ	إنكاري ابتدائي	إن واللام
5	و لقد علمت إن المنايا لا تطيش سهامها	إنكاري طلبي	القسم وقد إن
6	ولست بمستبق الخ	طلبي	الباء الزائدة
7	قد يبلغ الرجل الجبان الخ	طلبي	قد

تمرينات

(1)

بيِّن أضربَ الخبر فيما يأتي وعين أداة التوكيد:

(1) جاء في نَهْج البلاغة : الدَّهرُ يُخْلِقُ الأَبْدَانَ، وَيُجَدِّدُ الآمَالَ، وَيُقَرِّبُ الْمَنِيَّةَ، ويُبَاعِدُ الأُمْنِيَّةَ ، مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ ، ومَنْ فَاتَهُ تَعِبَ[1] .

(2) قال الأرجاني :

ذَهَبَ التكَرُّم وَالوَفَاءُ مِنَ الوَرَى ... وتَصَرَّمَا إلا مِنَ الأَشْعَار

وفَشَتْ خِيانَاتُ الثقاتِ وغَيْرِهِمْ ... حتى اتَّهَمْنَا رؤْيَةَ الأَبْصار

(3) وقال العباس بن الأحنف [2]:

فأُقسِمُ ما تَرْكي عِتابَكِ عنْ قِلًى ... ولكن لعلمي أنَّهُ غيرُ نافعِ

(4) و قال محمد بن بشير [3]:

إنِّي وإنْ قصُرَتْ عن همتي جدَتي ... وكان مالي لاَ يقْوَى عَلَى خُلُقي[4]

(1) لا يخلو الإنسان في دهره من التعب وسيان في ذلك من ظفر بحاجته و من فاتته مطالبه.

(2) هو من الموالي، شاعر ظريف عاش بالبصرة و لم يفارقها، و لم يرد على أمير و لا شريف منتجعا و اشتهر برقة غزله، و هو من شعراء العصر العباسي الأول.

(3) هو محمد بن بشير الخارجي شاعر حجازي فصيح مطبوع من شعراء الدولة الأموية، وكان منقطعا إلى أبي عبيدة القرشي، وله فيه مدائح مختارة هي من عيون شعره.

(4) الجدة: المال و الغنى.

لَـتَـارِكٌ كـلَّ أمـرٍ كـان يُلْزِمُني عارًا وَيُشْرِعُنى في المَنْهَل الرَّنق[1]

(5) وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62].

(6) وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: 1-3].

(7) قال أبو نُواس:

ولقد نَهَزْتُ مع الغُوَاة بدَلْوِهِمْ وأسَمْتُ سَرْحَ اللَّهْو حيثُ أَسامُوا[2]

وبلغتُ ما بلَغ امْـرؤٌ بشبابِه فـإذا عُـصـارةُ كـلِّ ذاك أثـامُ[3]

(8) و قال أعرابيٌّ:

ولَـمْ أَرَ كالمَعْرُوفِ أمَّا مَذاقُهُ فَـحُـلْـوٌ وأمـا وجْـهُـهُ فَجَمِيلُ

(9) وقال كعب بن سعد الغنوي[4]:

ولستُ بُمبْدٍ للرجالِ سريرَتي ومَـا أنَـا عَـنْ أسـرارِهِـمْ بِسئول

(10) وقال المعري في الرثاء:

إن الـذي الـوحْـشـةُ فـي داره تؤنِسُه الـرَّحـمـةُ فـي لـحـدِهِ[5]

(2)

بيِّن الجملَ الخبرية فيما يأتي وعيِّن أضربها؛ واذكر ما اشتملت عليه من وسائل التوكيد.

(1) قال يزيد بن معاوية[6] بعد وفاة أبيه: إن أمير المؤمنين كان حَبْلا من حبال اللَّه مدَّه ما شاء أن يمدَّه، ثم قطَعَه حين أراد أن يقْطعَه، و كان دون من قَبْله و خَيْرًا ممن يأتي بعدَه، ولا أزكِّيه عِنْدَ رَبِه، و قدْ صارَ إلَيْه، فإنْ يَعْفُ عنه فَبرَحْمَته، وإن يعاقِبْه فبذنْبه، و قد ولِيتُ

(1) يشرعني: يخوض بي، والمنهل الرنق: مورد الماء الكدر. و معنى البيتين أنه مع قلة ماله وعلو همته لا يتورط فيما يورثه سبة.

(2) يقال نهز الدلو في البئر إذا ضربها في الماء لتمتلئ، و يقال أسام الإبل إذا أرسلها إلى المرعى، والسرح: المال السائم أي الراعي كالإبل و غيرها؛ يعني أنه اتبع الغواة والضالين وسلك مسلكهم.

(3) العصارة في الأصل: ما يتحلب من الشيء بعد عصره، و يريد بها هنا ما استفاد في آخر أمره، الأثام: الإثم والذنب، يقول أنه لم يستفد من لهوه وسلوكه مسالك الغواة إلا ما عد عليه ذنبا وإثما.

(4) هو أحد شعراء الجاهلية المجيدين وتوفي قبل الهجرة بسنين قليلة.

(5) يقول أبو العلاء: نحن نحس وحشة في دار الفقيد البعيد عنها، و لكنه هو يحسن أنسا في قبره لما يجده هناك من رضوان الله ورحمته.

(6) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ولد سنة 26هـ و أبوه أمير الشام لعثمان بن عفان، و تربى في حجر الإمارة، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه، و توفي بحوران من أرض الشام سنة 64هـ.

بَعْدَهُ الأمْرَ ولَسْتُ أعتذر من جهْل. ولا آسَى [1] علَى طَلَبِ عِلم، وعَلَى رسْلكم [2] إذا كَرِه اللَّهُ شيئًا غَيَّره، وإذا أحَبَّ شيئًا يَسَّرَه.

(2) قال الشاعر:

لئِنْ كنتُ مُحْتاجًا إلى الحِلْم إنَّني إلى الجَهْلِ في بَعْضِ الأحايينِ أَحْوَجُ [3]
وما كنتُ أَرْضَى الجَهْلَ خِدْنًا ولا صاحِبًا ولكنَّني أَرْضَى بِهِ حينَ أُحْرَجُ [4]
ولِي فَرَسٌ لِلْحِلْم بالحِلْم مُلْجَمٌ ولِي فَرَسٌ لِلْجَهْلِ بالجَهْلِ مُسْرَجُ
فمَنْ شاء تَقْوِيمِي فإنِّي مُقَوَّمٌ ومَنْ شاء تَعْوِيجي فإنِّي مُعَوَّجُ

(3)

(1) تخَيَّلْ أنكَ في جدال مع طالب من قسم الآداب، وأنت من طلاب العلوم، ثم بيِّن له فضلَ العلوم على الآداب مستعملاً جميع أضرب الخبر.

(2) إذا كنتَ من طلاب الآداب فبيِّن مزاياها وفضلها على العلوم مستعملاً جميع أضرب الخبر.

(4)

كوِّن عشر جمل خبرية، وضمِّن كلاً منها أداة أو أكثر من أدوات التوكيد، واستوف الأدوات التي عرفتها.

(5)

انثر البيتين الآتيين نثرًا فصيحًا وبين فيهما الجمل الخبرية و أضربَها،

تَـوَدُّ عَـدُوِّي ثُـمَّ تَـزْعَـمُ أَنَّنِي صَدِيقُكَ إنَّ الرَّأْيَ مِنْكَ لَعازِبُ [5]
ولَيْس أخِـي مَـنْ وَدَّنِـي بِلِسانِهِ ولكنْ أخِي مَنْ وَدَّنِي وهْوَ غائِبُ

(1) آسى مضارع آسى بمعنى حزن.
(2) على رسلكم : أي تمهلوا.
(3) الجهل: ضد الحلم.
(4) يقال: أحرج فلان فلانا إذا أوقعه في الإثم أو الضيق.
(5) عازب : بعيد.

(3) خروج الخبر عن مُقتضى الظاهر

الأمثلة

(1) قال تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۖ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ [هود: 37].

(2) قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: 53].

(3) وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: 15].

(4) وقال حَجَل بن نضلة القيسي:

جاءَ شَقِيقٌ عارِضًا رُمْحَه ... إنَّ بَني عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاح [1]

(5) وقال تعالى يخاطب منكري وَحْدَانِيَّته: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ﴾ [البقرة: 163].

(6) الجهلُ ضارٌّ: (تقوله لمنْ يُنكرُ ضررَ الجهل)

البحث

عرفنا في الباب السابق أن المخاطَب إن كان خالي الذهن ألقى إليه الخبر غير مؤكَّد، و إن كان متردّدًا في مضمون الخبر طالبًا معرفته حَسُن توكيده له، و إن كان منكرًا وجب التوكيد، و إلقاء الكلام على هذا النمط هو ما يقتضيه الظاهر،و قد توجد اعتبارات تدعو إلى مخالفة هذا الظاهر نشرحها فيما يأتي: انظر إلى المثال الأول تجد المخاطب خالي الذهن من الحكم الخاص بالظالمين، وكان مقتضَى الظاهر على هذا أن يُلْقَى إليه الخبر غير مؤكد، لكن الآية الشريفة جاءت بالتوكيد، فما سبب خروجها عن مقتضى الظاهر؟ السبب أن الله سبحانه لما نهى نوحًا عن مخاطبته في شأن مخالفيه دفعه ذلك إلى التطلع إلى ما سيصيبهم، فنزل لذلك منزلة السائل المتردد أُحكِمَ عليهم بالإغراق أم لا؟ فأجيب بقوله: ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾. وكذلك الحال في المثال الثاني فإن المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ غير أن هذا الحكم لما كان مسبوقًا بجملة أخرى و هي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ و هي تشير إلى أنَّ النفس محكوم عليها بشي غير محبوب، أصبح المخاطب مستشرفا متطلعًا إلى نوع هذا الحكم، فنُزِّلَ من أجل ذلك منزلة الطالب المتردد، وأُلقي إليه الخبر مؤكدًا. انظر إلى المثال الثالث تجد المخاطبين غير منكرين الحكمَ الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾، فما السبب إذًا في إلقاءِ الخبر إليهم مؤكداً؟ السببُ ظهور أمارات الإنكار عليهم، فإن غفلتهم عن الموت

(1) شقيق: هو أحد بني عمرو بن عبد قيس بن معن و عارضا رمحه: أي جاعلا رمحه، و هو راكب، على فخذيه بحيث يكون عرض الرمح في جهة العدو، و ذلك إدلالا بشجاعته و استخفافا بمن يقابلهم حتى كأنه يعتقد أنهم لا سلاح عندهم.

وعدم استعدادهم له بالعمل الصالح يُعَدّان من علامات الإنكار، ومن أجل ذلك نُزِّلوا منزلةَ المنكرين، وأُلقي إليهم الخبر مؤكَّدًا بمؤكدين. وكذلك الحال في قول حَجَل بن نَضْلة فإن شقيقًا لا ينكر رماح بني عمه، ولكنَّ مجيئَه عارضًا رمحه من غير تهيؤ للقتال ولا استعداد له، دليل على عدم اكتراثه، و على أنه يعتقد أن بني عمه عُزْلٌ لا سلاحَ معهم، فلذلك أُنزل منزلةَ المنكرين، فأكد له الخبر وخُوطب خطاب المنكر، فقيل له: «إن بني عمك فيهم رماح». انظر إلى المثال الخامس تر أن الله سبحانه يخاطب المنكرين الذين يجحدون وحدانيته، ولكنه ألقى إليهم الخبر خاليا من التوكيد كما يُلْقَى لغير المنكرين فقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ فما وجه ذلك ؟ الوجه أنّ بين أيدي هؤلاء من البراهين الساطعة والحجج القاطعة ما لو تأملوه لوجدوا فيه نهاية الإقناع، ولذلك لم يُقِم اللهُ لهذا الإنكارِ وزنًا، ولم يعتدَّ به في توجيه الخطاب إليهم. وكذلك الحال في المثال الأخير، فإن لدى المخاطب من الدلائل على ضرر الجهل ما لو تأمله لارتدعَ عن إنكاره، ولذلك أُلقي إليه الخبر خاليًا من التوكيد.

القواعد

(34) إذَا أُلقيَ الْخَبَرُ خاليًا من التَّوْكِيدِ لخالي الذِّهْن، ومؤكَّدا استحسانا للسائل المُتَرَدِّد، ومؤكَّدًا وُجُوبًا لِلْمُنكر، كان ذلك الخبرُ جاريًا عَلَى مُقْتَضى الظَّاهِر.

(35) وقد يَجْري الخَبَرُ عَلَى خلافِ ما يَقْتَضِيه الظَّاهِرُ لاعتبارات يَلْحَظها المتكلِّمُ ومنْ ذلك ما يأتي:

(أ) أَنْ يُنَزَّلَ خاليَ الذِّهْن مَنْزِلَةَ السائل المُتَرَدِّدِ إذَا تَقَدَّمَ في الكلام ما يُشِيرُ إلى حُكْمِ الخَبَر.

(ب) أَنْ يُجْعلَ غَيْرُ الْمُنْكِر كالْمُنْكِر لِظُهور إمارات الإنكار عَلَيْه.

(جـ) أَنْ يُجْعَلَ الْمُنْكِرُ كغَيرِ المنكر إن كانَ لدَيْه دَلائلُ وشَواهِدُ لَوْ تأملها لارْتَدَعَ عَنْ إنْكاره.

نموذج

بيِّنْ وجهَ خروج الخبر عن مقتضى الظاهر فيما يأتي:

(1) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج:1].

(2) إنَّ برَّ الْوَالدَيْن لواجبٌ (تقوله لمنْ لا يطيع والديه).

(3) إن الله لمُطلِّعٌ على أفعال العباد (تقوله لمنْ يظلم الناس بغير حقٍّ).

(4) الله موجودٌ (تقول ذلك لمنْ ينكر وجود الإله).

الإجابة

(1) الظاهر في المثال الأول يقتضي أن يُلقى الخبر خاليًا من التوكيد، لأن المخاطَب خالي الذهن من الحكم، ولكن لما تقدم في الكلام ما يشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متطلعًا إليه، فنزِّل منزلة السائل المتردد واستُحسن إلقاءَ الكلام إليه مؤكدًا جريًا على خلاف مقتضى الظاهر.

(2) مقتضَى الظاهرُ أن يُلقى الخبر غير مؤكد، لأن المخاطب هنا لا ينكر أن بر الوالدين واجب ولا يتردد في ذلك، ولكن عصيانه أمارة من أمارات الإنكار، فلذلك نُزِّل منزلة المنكر.

(3) الظاهر هنا يقتضي إلقاء الخبر غير مؤكد أيضاً، لأن المخاطب لا يُنكرُ الحكم ولا يتردد فيه، ولكنه نُزِّل منزلة المنكر، وألقى إليه الخبر مؤكدًا لظهور إمارات الإنكار عليه وهي ظلمه العباد بغير حق.

(4) الظاهر هنا يقتضي التوكيد لأن المخاطب يَجْحد وجود الله، ولكن لمَا كان بين يديه من الدلائل والشواهد ما لو تأمله لارتدع عن الإنكار، جعل كغير المنكر، وألقى إليه خاليًا من التوكيد جريًا على خلاف مقتضَى الظاهر.

تمرينات

(1)

بين وجه خروج الخبر عن مقتضى الظاهر في كل مثال من الأمثلة الآتية:

(1) قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: 103].

(2) و قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: 1-2].

(3) إنَّ الفراغ لَمَفْسدةٌ (تقوله لمنْ يعرفُ ذلك ولكنه يَكره العمَلَ).

(4) العلم نافع (تقول ذلك لمن ينكر فائدة العلوم).

(5) قال أبو الطيب:

تَـرَفَّـقْ أيُّـهَـا الـمَـوْلـى عَلَيهِمْ ... فـإنّ الـرِّفْـقَ بِالجاني عِتَابُ [1]

(2)

(1) هات مثالين يكون الخبر في كل منهما مؤكدًا استحساناً، و جاريًا على خلاف مقتضى الظاهر، واشرح السبب في كل من المثالين.

(1) الرفق: ضد العنف و الجاني المذنب، يقول: ترفق بهم و إن جنوا فان الجاني إذا عومل بالرفق لان ورجع عن جنايته، فكأن الرفق به بمنزلة العتاب.

(2) هات مثالين يكون الخبر في كل منهما مؤكدًا وجوبًا وخارجًا عن مقتضى الظاهر، واشرح وجه التوكيد في كل من المثالين.

(3) هات مثالين يكون الخبر في كل منهما خاليًا من التوكيد خارجًا عن مقتضى الظاهر، واشرح وجه الخروج في كل من المثالين.

(3)

اشرح قول عنترة وبيِّن وجه توكيد الخبر فيه :

لله دَرُّ بَني عَبْسٍ لَقَدْ نَسَلُوا ... مِنَ الأكارمِ ما قد تَنْسِلُ العربُ [1]

الإنشاء

تقسيمُه إلى طلبيٍّ وغير طلبي

الأمثلة

(1) أَحِبَّ لِغَيْرِكَ ما تحبُّ لِنفْسِكَ.

(2) من كلام الحسَن رَضيَ الله عنه [2]: لا تَطْلُبْ مِنَ الْجَزَاءِ إلا بقَدْرِ ما صَنَعْتَ.

(3) وقال أبو الطيب :

ألا ما لسَيفِ الدَّوْلَةِ اليَوْمَ عَاتِبَا ... فَداهُ الوَرَى أمضَى السُّيُوفِ مَضَارِبَا [3]

(4) وقال حسانُ بن ثابت :

يا ليتَ شعري وَلَيْتَ الطَّيْرَ تُخْبِرُني ... ما كـانَ بيْن عليٍّ وَابـنِ عفّانا!

(5) وقال أبو الطيب:

يَا مَـنْ يَعِزُّ عَلَيْنَا أنْ نُفَارِقَهُمْ ... وِجْدانُنا كُلَّ شيءٍ بَعدَكمْ عَدَمُ [4]

(6) وقال الصَّمَّة بنُ عَبْدِ الله [5]:

(1) نسلوا: ولدوا، و معنى قوله: نسلوا من الأكارم ما قد تنسل العرب، أنهم ولدوا من الأماجد ما يلده العرب العظماء.

(2) هو سبط رسول الله صلى الله عليه و سلم، كان سيداً حليمًا يكره الفتن والسيف حتى إنه نزل لمعاوية عن الخلافة حباً في جمع الكلمة وترك القتال بين المسلمين، توفى سنة 49 هـ.

(3) أمضى اسم تفضيل بمعنى أقطع، وهو منصوب عل المدح، ومضارب السيوف حدودها، وجملة فداه الورى وما يتصل بها دعاء.

(4) يقول: إذا فارقناكم، ووجدنا كل شيء فوجدانه والعدم سواء، لأنه لا يغنى غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل.

(5) شاعر غزل مقل بدوى. و هو من شعراء الدولة الأموية و كان شريفا ناسكا عابدا.

بنفسي تلْكَ الأرضُ ما أَطْيَب الرُّبَا! وما أَحْسَنَ الْمُصْطَافَ والمتَرَبَّعَا [1]

(7) وقال الجاحظ من كتاب: أَمَّا بعدُ فَنِعْمَ البَديلُ من الزَّلَّةِ الاعتذارُ [2]، وبِئْسَ العوَضُ من التَّوبةِ الإِصْرَارُ [3].

(8) وقال عبد الله بنُ طاهر:

لَعَمْرُكَ مَا بالْعَقْلِ يُكتَسَبُ الغنى ولا باكْتِساب المالِ يُكتَسبُ العَقْلُ

(9) وقال ذو الرُّمَّة [4]:

لَعَلَّ انْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ راحةً مِنَ الْوَجْدِ أو يَشْفي شَجيَّ البلابل [5]

(10) وقال آخر:

عَسَى سائلٌ ذو حاجَةٍ إن مَنَعْتَهُ مِنَ اليَوْمِ سُؤْلًا أن يكونَ له غَدُ [6]

البحث

الأمثلة المتقدمة جميعها إنشائية لأنها لا تحتمل صدقاً، ولا كذباً، وإذا تدبرتها جميعها وجدتها قسمين، فأمثلة الطائفة الأولى يطلب بها حصول شيء لم يكن حاصلا وقت الطلب، ولذلك يسمى الإنشاء فيها طلبيًّا. أما أمثلة الطائفة الثانية فلا يطلب بها شيء، و لذلك يسمَّى الإنشاء فيها غير طلبي. تدبر الإنشاءَ الطلبيَّ في أمثلة الطائفة الأولى تجده تارة يكون بالأمر كما في المثال الأول، و تارة بالنهي كما في المثال الثاني، و تارة بالاستفهام كما في المثال الثالث، وتارة بالتمني كما في المثال الرابع، وتارة بالنداء كما في المثال الخامس. و هذه هي أنواع الإنشاء الطلبي التي سنبحث عنها في هذا الكتاب [7]. انظر إلى أمثلة الطائفة الثانية تجد وسائل الإنشاء فيها كثيرة، فقد يكون بصيغ التعجب كما في المثال السادس، أو بصيغ المدح و الذم كما في المثال السابع، أو بالقسم كما في المثال الثامن، أو بلعل وعسى وغيرهما من أدوات الرجاء كما في المثالين الأخيرين. وقد يكون بصيغ العقود كبعت واشتريت. وأنواع الإنشاء غير الطلبي ليست من مباحث علم المعاني، ولذلك نقتصر فيها على ما ذكرنا ولا نطيل فيها البحث.

(1) الرباء: الأماكن العالية، و المصطاف: منزل القوم في الصيف. و المتربع: منزلهم في الربيع . يقول: أفدى بنفسي تلك الأرض لطيب رباها و حسنها صيفا و ربيعا.

(2) البديل: البدل، و الزلة: السقطة في الكلام و غيره، يقول: إن مقابلة الزلل بالاعتذار محمودة.

(3) الإصرار: عقد النية على البقاء على الذنب، يعني أنه يجب على المذنب أن يتوب من ذنبه وألا يصر على ارتكابه.

(4) من شعراء الدولة الأموية، و كان بليغ الكلام لسنا، أخذ من ظريف الشعر و حسنه ما لم يسبقه إليه أحد. وهو أحسن أهل الإسلام تشبيبًا، ولكنه لم يحسن المدح ولا الهجاء توفى سنة 117هـ.

(5) الشجي: الحزين، و البلابل: جمع بلبال و هو الهم و وسواس الصدر، و المراد بشجي البلابل المحزون الذي امتلاء صدره همًا وحزنًا.

(6) لا يليق أن تمنع سائلا أتاك وله حاجة، فإنك إن منعته في يومك الذي هو لك فقد يكون له الغد فيجازيك على الحرمان بالحرمان.

(7) و يكون الإنشاء الطلبي أيضا بالعرض و التحضيض و الجمل الدعائية، و لكنا اقتصرنا على الأنواع الخمسة لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية.

القاعدة

(36) الإنْشاء نوعان طَلَبيٌّ و غَيْرُ طلبيٌّ:

(أ) فَالطلبيُّ ما يَسْتَدْعي مَطْلوبًا غَيرَ حاصل وقتَ الطلب، ويكونُ بالأمر، والنهْي، والاستفهام، والتمني، والنِّداءَ [1].

(ب) وغَيْرُ الطَّلبي ما لا يَسْتَدْعي مطلوباً، وله صِيَغ كَثيرة منها: التَّعَجُّب، والمدح، والذم، والقَسَمُ، وأفعال الرجاء، وكذلك صِيَغُ العُقُودِ.

نموذج

لبيان نوع الإنشاء في كل مثال من الأمثلة الآتية:

(1) قال أبو تمام:

لا تسقني ماءَ الملام فإنَّني ... صبٌّ قد استعذبتُ ماءَ بُكائي

(2) ومما يؤثر: أَحْببْ حبيبَك هوْنًا ما عسى أنْ يكونَ بغيضَك يومًا ما، وأبغضْ بغيضَكَ هوْنًا ما عسى أن يكون حبيبَكَ يومًا ما.

(3) وقال ابن الزيات يمدح الفضْل بن سهْل [2].

يا ناصِرَ الدين إذ رثَّتْ حبائلُه ... لأنتَ أكرمُ من آوَى و منْ نصرا

(4) لأميَّة بن أبي الصَّلْت [3] في طلب حاجة:

أَأَذْكُرُ حاجَتي أَم قد كَفانِي ... حَياؤُكَ إنَّ شِيمَتَكَ الحَياءُ

(5) و قال زُهيْرُ بن أبي سُلْمى [4]:

نِعْمَ امْرأً هَرِمٌ لم تَعْرُ نائِبَةٌ ... إلاَّ وكانَ لِمُرْتاعٍ بها وَزَرا [5]

---

(1) قد تكون الجملة خبرية في اللفظ و هي إنشائية في المعنى، و على ذلك تعد من باب الإنشاء، كقول المتنبي يخاطب عضد الدولة: «فدى لك من يقصر عن فداكا» و كقوله يدعو لسيف الدولة بالشفاء من علة أصابته: «شفاك الذي يشفي بجودك خلقه».

(2) كان فضل بن سهل وزيرا للمأمون، و قد اشتهر ببلاغته و حسن كتابته و جمال خلاله، و كان يلقب بذي الرياستين، و قتل بسرخس سنة 202هـ.

(3) شاعر من شعراء الجاهلية قرأ كتب اليهود و النصارى، و كان يمني نفسه أن يكون النبي المبعوث من العرب، و لما ظهر النبي صلى الله عليه و سلم امتنع عن الإسلام حسدا له، و في شعره كثير من ألفاظ السريانية، و مات أول ظهور الإسلام.

(4) أحد الثلاثة المقدَّمين على سائر شعراء الجاهلية، وهم: زهير و امرؤ القيس و النابغة، كان لا يعاظل في كلامه، وكان يتجنب وحشي الشعر، ولا يمدح أحدا إلا بما فيه، وكان يضرب به المثل في تنقيح الشعر حتى سميت قصائده بالحوليات؛ لأنه كان يعمل القصائد ثم يأخذ في تنقيحها و عرضها على الشعراء في سنة كاملة.

(5) تعر: تنزل، والمرتاع: الخائف. الوزر: الملجأ. يمدح الهرم بن سنان بأنه ملجأ كل خائف وغياث كل ملهوف.

(6) قال امرؤ القيس :

أجارتَنا إنا غَريبانِ هاهُنا ... وكلُّ غريبٍ للغريب نسيبُ

(7) و قال آخر :

يا ليت منْ يمْنَع المعروفَ يَمْنعُهُ ... حتى يذوق رجالٌ غِبَّ ما صنعوا [1]

(8) و قال أبو نُواس يستعطفُ الأمين :

وحياةِ راسِكَ لا أعو ... دُ لمثْلِها وحياةِ راسِكْ

(9) وقال دِعْبلُ الخُزاعيُّ :

ما أكْثرَ النَّاسِ! لا، بلْ ما أقَلَّهم! ... اللَّهُ يَعلَمُ أنّي لَم أقُلْ فَنَدا [2]

إنّي لأفْتَحُ عيني حِين أفتَحُها ... على كثير ولكنْ لا أرى أحَدا

الإجابة

الرقم	صيغة الإنشاء	نوعه	طريقته
1	لا تسقني ماء الملام	طلبي	النهي
2	أحْببْ حبيبكَ هوْنًا ما	طلبي	الأمر
	عسى أنْ يكون بغيضَكَ يَوْما ما	غير طلبي	الرجاء
	و أبغض بغيضَكَ هوْنًا ما	طلبي	الأمر
	عسى أن يكون .. إلخ	غير طلبي	الرجاء
3	يا ناصِر الدين .. إلخ	طلبي	النداء
4	أأذكرُ حاجتي	طلبي	الاستفهام
5	نِعْم امرأً هرِمٌ	غير طلبي	المدح
6	أجارتَنا	طلبي	النداء
7	يا ليت منْ يمْنَع .. إلخ	طلبي	التمني
8	وحياة راسك	غير طلبي	القسم
9	ما أكْثر النَّاس!	غير طلبي	التعجب
	ما أقلهم	غير طلبي	التعجب

(1) الغب: العاقبة.

(2) الفند بفتحتين: الكذب.

تمرينات

(1)

بيّن صيغ الإنشاء وأنواعه وطرقه فيما يأتي:

(1) قال أبو الطيب يمدح نفسه :

ما أبْعدَ العَيبَ والنّقصانَ عنْ شرَفي! أنَا الثّرَيّا وَذانِ الشّيبُ وَالهَرَمُ[1]

(2) و قال:

لعلَّ عَـتْـبَـكَ محمودٌ عواقبُهُ وربّما صحَّتِ الأجسامُ بالْعِلَلِ

(3) و قال:

فَيا لَيتَ ما بَيْني وبَينَ أحِبّتي مِنَ البُعْدِ ما بَيني وبَينَ المَصائِبِ

(4) وقال في مدح سيف الدولة :

وَلَعَمْري لَقَدْ شَغَلْتَ المَنَايَا بالأعادي فكَيفَ يَطلُبنَ شُغلا؟

(5) وقال فيه أيضا:

يا مَـنْ يُقَتِّلُ مَـنْ أرَادَ بسَيْفِهِ أصْبَحتُ منْ قَتلاكَ بالإحْسانِ[2]

(6) و قال فيه أيضا:

تَالله مَـا عَـلِـمَ امـرُؤٌ لَـوْلاكُـمُ كَيفَ السّخاءُ وَكَيفَ ضرْبُ الهَامِ[3]

(7) و قال أيضا:

ومَكايدُ السّفَهاءِ واقِـعَـةٌ بهِمْ وعَـداوَةُ الشّعَراءِ بِئْسَ المُقْتَنى

(8) و قال أيضا:

لُمِ اللّيالي التي أخْنَتْ على جِدَتي بِرِقّةِ الحالِ وَاعذِرْني وَلا تَلُمِ[4]

(9) و قال أيضا:

بِئْسَ اللّيَالي سَهِدْتُ مِنْ طَرَبٍ شَوْقًا إلى مَنْ يَبِيتُ يَرْقُدهَا[5]

---

(1) يقول : إن العيب و النقصان بعيدان عني مثل بعد الشيب و الهرم عن الثريا فما دامت الثريا لا تشيب و لا تهرم، فأنا لا يلحقني عيب و لا نقصان.

(2) أي أنت تقتل من شئت بسيفك و لكنك صيرتني قتيلا بإحسانك، أي بالغت في إحسانك إلي حتى عجزت عن شكرك فصرت كالقتيل.

(3) الهام: الرءوس. (4) أخنى عليه: أهلكه، و الجدة: المال و الغنى، و رقة الحال كناية عن الفقر.

(5) سهدت: سهرت، و الطرب: خفة تعتري الإنسان من شدة حزن أو سرور.

(2)

(1) كوِّن ثماني جمل إنشائية منها أربع للإنشاء الطلبي و أربع لغير الطلبي.

(2) ايت بصيغتين للقسم، و أُخريين للمدح والذم، و مثلهما للتعجب.

(3) استعمل الكلمات الآتية في جمل مفيدة، ثم بيِّن نوعَ كل إنشاء: لا الناهية. همزة الاستفهام. ليت. لعل. عسى. حبذا. لا حبذا. ما التعجبية. واو القسم. هل.

(3)

بيِّن الإنشاء وأنواعه والخبر و أضربه فيما يأتي:

(1) لعَمْرُكَ ما ضاقَتْ بِلادٌ بأهلِها ولكنّ أخْـلاقَ الرِّجالِ تَضيقُ[1]

(2) إذا لم تكُنْ نَفْسُ النّسيبِ كأصْلِه فماذا الذي تُغني كرامُ المَناصِبِ؟[2]

(3) لَيْتَ الجِبالَ تَداعَتْ عند مَصْرَعِه دَكًّا فلَمْ يَبْقَ مِن أرْكانِها حَجَرُ

(4) لَئِنْ حَسُنَتْ فيكَ المَراثي وذِكْرُها لقَدْ حَسُنَتْ مِن قَبْلُ فِيكَ المَدائحُ

(5) لِـلّـهْـوِ آونَـــةٌ تَـمُـرّ كأنّهَا قُبَلٌ يُـزَوِّدُهَـا حَبيبٌ راحِـلُ[3]

(6) أَخِلاَّيَ لو غَيْرُ الحِمامِ أَصابَكُمْ عَتَبْتُ ولكنْ ما على الدَّهْرِ مَعْتَبُ[4]

(7) إنَّ المساءَةَ للمسرةِ موعِدٌ أُختان رهـنٌ للعشية أو غَـدِ[5]

فـإذا سمعت بهالك فتيقَّنَنْ أنَّ السبيل سبيلهُ و تَـزوّدِ[6]

(8) وكلُّ شَجاعَةٍ في المَرْءِ تُغني ولا مِثلَ الشّجاعَةِ في حَكيمِ[7]

(9) ذريني فإنَّ البخلَ لا يُخلِدُ الفَتَى ولا يُهْلِكُ المعروفُ من هو فاعلُه

(10) وكلُّ امرئٍ يومًا سيركبُ كارهًا على النعش أعناقَ العدا والأقارب

---

(1) يقول: إن أرض الله واسعة لم تضق بأحد، و إنما تضيق أخلاق الرجال و صدورهم.

(2) يقول: إذا لم تكن نفس الرجل الشريف مشابهة لأصله في الشرف و الكرم لم ينفعه انتسابه إلى أصل كريم و محتد شريف.

(3) يقول: إن ساعات اللهو مع لذتها قصيرة سريعة المرور كأنها القبل التي يزودها الحبيب الراحل، فإن لذتها في غاية القصر ثم تمر ولا يبقى منها إلا الذكرى.

(4) ينادي أصدقاءه الذين ماتوا و يقول: لو كان ما أصابكم غير الموت لعتبت عليه و لكن لا عتاب على الزمان، لأنه إذا أخذ شيئا لا يرده.

(5) يقول: إن المسرة لا تدوم فغايتها المساءة.

(6) يقول: إذا بلغك موت أحد فاعتبر به و تيقن إن سبيلك سبيله وتزود للآخرة بالعمل الصالح.

(7) يقول: إن الشجاعة كيفما كانت تدفع الهوان عن صاحبها، و لكن الشجاعة في الحكيم لا تقاس بها الشجاعة في غيره، لأنها حينئذ تكون مقرونة بالحزم فيكون صاحبها أبعد من الخيبة.

(11) وما الجَمْعُ بَينَ الماءِ والنّارِ في يدي ... بأصعَبَ من أنْ أجمَعَ الجَدّ والفَهمَا[1]

(12) يا ابْنَتي إنْ أردْتِ آيَةَ حُسْنٍ ... وجَمالًا يَزينُ جِسْمًا وعَقْلاَ

فانْبِذي عادةَ التَّبرجِ نَبْذًا ... فجمالُ النُّفوسِ أسْمَى وأعْلَى

يَصْنَعُ الصّانِعُون وَرْدًا ولَكِنْ ... وَرْدَةُ الرَّوضِ لا تُضَارَعُ شَكْلا

(4)

حول الأخبار الآتية إلى جمل إنشائية واستوف أنواع الإنشاء الطلبي التي تعرفها:

الروضُ مزهرٌ- الطيرُ مغردٌ- يتنافسُ الصناعُ -يفيضُ النيل- نَشِطَ العاملُ- أجادَ الكاتبُ

(5)

بَيِّنْ نوع الإنشاء في البيتين التاليين، ثم انثرهما نثرًا فصيحًا:

يا أيُّها المُتَحَلِّي غيرَ شِيمَتِه ... ومن شَمائله التبْديلُ والمَلَقُ[2]

اِرْجعْ إلى خُلْقِكَ المَعْروفِ دَيْدَنُهُ ... إنَّ التَّخلقَ يَأْتِي دُونَهُ الخُلُقُ[3]

الإنشاءُ الطلبيُّ

(1) الأمرُ

الأمثلة

(1) من رسالة لعليّ رضي الله عنه بعث بها إلى ابن عَباس وكان عاملا بمكة: أمّا بَعدُ فأقِمْ للنَّاس الحجَّ وذكِّرْهُمْ بأيام الله[4]، واجْلِسْ لهُمُ العَصْرين[5]، فأفْتِ المُسْتَفْتِي، وعَلِّم الجاهلَ، وذاكر العالِمَ.

(2) وقال تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:29].

(1) الجد: الحظ. يقول إن العاقل محروم في هذه الحياة غالبا. لأن حسن الحظ و الذكاء لا يجتمعان لحي كما لا يجتمع الماء والنار.

(2) الشيمة: الخلق، والشمائل: الأخلاق، وهو جمع مفرده شمال، والملق: الود واللطف الظاهران، ومنه الرجل الملق وهو الذي يعطي بلسانه ما ليس في قلبه.

(3) الديدن: الدأب و العادة، والتخلق: أن يتكلف الإنسان غير خلقه، يقول: لا تتكلف ما ليس من خلقك، لأنك إن فعلت غلبك طبعك، و انكشف للناس تصنعك...

(4) يريد أيام الله التي عاقب فيها الماضين على سوء أعمالهم.

(5) يريد بالعصرين الغداة والعشي من باب التغليب.

(3) وقال: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: 105].

(4) وقال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: 23].

***

(5) وقال أبو الطيب في مدح سيف الدولة:

كَذا فَلْيَسْرِ مَن طَلَبَ الأعادي ... وَمِثْلَ سُراكَ فَلْيَكُنِ الطِّلابُ [1]

(6) وقال يخاطبه:

أَزِلْ حَسَدَ الحُسّادِ عَنّي بكَبْتِهِمْ ... فأنتَ الذي صَيّرْتَهُمْ لِيَ حُسَّدَا [2]

(7) وقال امرؤ القيس:

قِفَا نَبْكِ من ذِكْرَى حَبيبٍ وَمَنْزِلِ ... بِسقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ [3]

(8) وقال أيضًا:

ألا أَيُّها اللَّيلُ الطَّويلُ ألا انْجَلِ ... بِصُبْحٍ وما الإصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ [4]

(9) وقال البحتري:

فمَن شاءَ فَلْيَخَلْ وَمن شاءَ فليَجُدْ ... كَفاني نَداكمْ من جَميعِ المَطالبِ

(10) وقال أبو الطيب:

عِشْ عزيزًا أوْ مُتْ وَأنتَ كَريمٌ ... بَينَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ [5]

(11) وقال آخر:

أرونـي بخيلًا طالَ عُمْرًا ببُخْلِه ... وَهَاتُوا كَريمًا مَاتَ مِنْ كثْرَةِ البَذلِ

(12) و قال غيره:

إذا لَـمْ تَـخْـشَ عاقِبَةَ اللّيالي ... ولـمْ تَسْتَحْيِ فاصْنَعْ ما تشاءُ

(13) وقال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187].

(1) السري: السير ليلا.

(2) كبته: أذله، يقول أنت صيرتهم حاسدين لي بما أفضت علي من نعمتك، فاصرف شر حسدهم عني بإذلالهم.

(3) قفا: أمر للاثنين بالوقوف. الذكرى: التذكر، و سقط اللوى و الدخول و حومل: مواضع، يقول لرفيقيه قفا و أعيناني بالبكاء لتذكر حبيب فارقته و منزل خرجت منه، و هذا المنزل بين هذه المواضع.

(4) الانجلاء الانكشاف، والأمثل الأفضل، يقول: ليتك أيها الليل تنكشف وتنحي ظلامك عن عيني لأرى بياض الصبح، ثم عاد فقال: وما الإصباح بأفضل منك عندي، فإني أقاسي من همومي نهارًا ما أقاسيه ليلا.

(5) خفق البنود: اضطرابها، و البنود: جمع بند و هو العلم الكبير.

البحث

إذا تأملت أمثلة الطائفة الأولى رأيت كلاً منها يشتمل على صيغة يُطلب بها على وجه التكليف والإلزام حصول شيء لم يكن حاصلاً وقت الطلب. ثم إذا أنعمت النظر رأيت طالب الفعل فيها أعظم و أعلى ممن طلب الفعل منه. وهذا هو الأمر الحقيقي ،وإذا تأملت صيغَتَهُ رأيتها لا تخرج عن أربع: هي فعل الأمر كما في المثال الأول، والمضارع المقرون بلام الأمر كما في المثال الثاني ،واسم فعل الأمر كما في المثال الثالث. و المصدر النائب عن فعل الأمر كما في المثال الرابع. انظر إذا إلى الطائفة الثانية تجد أن الأمر في جميعها لم يستعمل في معناه الحقيقي، وهو طلب الفعل من الأعلى للأدنى على وجه الإيجاب والإلزام، وإنما يدل على معان أخرى يُدركها السامع من السياق و قرائن الأحوال. فأبو الطيب في المثال الخامس لا يريد تكليفا ولا يقصد إلى إلزام. وإنما ينصح لمن ينافسون سيف الدولة ويرشدهم إلى الطريق المثلى في طلب المجد وكسب الرفعة. فالأمر هنا للنصح و الإرشاد لا للإيجاب والإلزام. وصيغة الأمر في المثال السادس لا يُراد بها معناها الأصلي، لأن المتنبي يخاطب مليكه، والمليك لا يأمره أحد من شعبه، وإنما يراد بها الدعاء، وكذلك كل صيغة للأمر يُخاطبُ بها الأدنى من هو أعلى منه منزلة وشأناً. وإذا تدبرت المثال السابع وجدت امرأ القيس يتخيَّل صاحبين يستوقفهما ويستبكيهما جريًا على عادة الشعراء، إذ يتخيل أحدهم أن له رفيقين يصطحبانه في غدُوِّه ورواحه، فيوجه إليهما الخطاب، ويفضي إليهما بسرِّه و مكنون صدره، وصيغة الأمر إذا صدرت من رفيق لرفيقه، أو من ندٍّ لندِّه لم يُرد بها الإيجاب والإلزام. وإنما يراد بها محض الالتماس. و امرؤ القيس في المثال الثامن لم يأمر الليل ولم يكلفه شيئا، لأنَّ الليل لا يسمع ولا يطيع، وإنما أرسل صيغة الأمر وأراد بها التمني. وإذا تدبرت الأمثلة الباقية و تعرفت سياقها وأحطت مما يكنُفها من قرائن الأحوال، أدركت أن صيغ الأمر فيها لم تأت للدلالة على المعنَى الأصلي، وإنما جاءت لتفيد التخيير، والتسوية، والتعجيز، والتهديد، والإباحة على الترتيب.

القواعد

(37) الأمرُ طَلَبُ الْفِعْل على وجْه الاسْتِعْلاء.

(38) لِلأَمْر أَرْبَعُ صِيَغ: فِعْلُ الأمر، والْمُضَارِعُ المقرونُ بلام الأَمْر ،واسمُ فِعْل الأَمْر، والمَصْدرُ النَّائبُ عَنْ فِعْل الأَمْر.

(39) قَدْ تَخْرُجُ صِيغ الأَمْر عَنْ مَعْناها الأصليِّ إلى مَعانٍ أُخرَى تُسْتفادُ مِنْ سِياق الكلام، كالإرشَاد، والدّعاء، والالْتماس، و التمني، والتَّخْيير والتَّسْوية، والتَّعْجيز، والتَّهْديد، والإباحة.

نموذج

لبيان صيغ الأمر وتعيين المراد من كل صيغة فيما يأتي:

(1) قال تعالى خطابًا ليحيى عليه السلام: ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:12].

(2) وقال الأُرجانيُّ:

شاوِرْ سِواكَ إذا نابَتْكَ نائبةٌ ... يومًا وإنْ كنتَ منْ أهلِ المَشوراتِ

(3) وقال أبو العتاهية:

واخفِضْ جناحكَ إن مُنِحْتَ إمَارةً ... وارْغَبْ بنَفسكَ عن رَدَى اللذات [1]

(4) وقال أبو العلاء:

فيا موت زُرْ إنَّ الحَياةَ ذَميمةٌ ... ويَا نَفْسُ جِدِّي إنَّ دهْرَكِ هازلُ [2]

(5) وقال آخر:

أرِيني جَوادًا ماتَ هَزْلاً لَعَلّني ... أرَى ما تَرَيْنَ أوْ بَخيلًا مُخَلَّدا [3]

(6) وقال خالد بن صفْوَان [4] ينصح ابنه: دعْ مِنْ أعمال السِّر ما لا يَصْلحُ لكَ في العلانيَةِ.

(7) و قال بشار بن بُرد:

فعِشْ واحِداً أو صِلْ أخاك فإنَّهُ ... مُقارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومُجانِبُهْ [5]

(8) و قال تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم: 30].

(9) و قال أبو الطيب يخاطب سيف الدولة:

أخا الجُودِ أعْطِ النّاسَ ما أنتَ مالكٌ ... وَلا تُعْطِيَنّ النّاسَ ما أنَا قائلُ [6]

(10) و قال قطري بن الفُجَاءَة [7] يخاطب نفسه:

فَصَبْرًا في مَجالِ المَوْتِ صَبْرًا ... فَما نَيْلُ الخُلُودِ بِمُسْتَطاعِ

---

(1) المراد بخفض الجناح التواضع، و الردى: الهلاك.

(2) يفضل الموت على الحياة، و يأمر نفسه أن تأخذ في طريق الجد لأن الدهر غير جاد.

(3) الهزل بالضم و بالفتح: الضيق و الفقر.

(4) كان من فصحاء العرب المشهورين، وكان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك، وله معهما أخبار، ولد ونشأ بالبصرة، وكان أيسر أهلها مالا، توفي سنة 115 هـ.

(5) مقارف الذنب: مرتكبه يقول إذا أردت ألا يزل معك صديق فعش منفردا و ذلك مستحيل، أما إذا أردت أن تعيش مع الناس فسامح إخوانك و صلهم على ما بهم من عيوب.

(6) يقول أعط الناس أموالك و لا تعطهم شعري. أي لا تحوجني إلى مدح غيرك.

(7) هو أحد رؤوس الخوارج، فارس مذكور، و شاعر إسلامي مشهور، سلموا عليه بالخلافة ثلاث عشرة سنة.

الإجابة

الرقم	صيغة الأمر	المعنى المراد	الرقم	صيغة الأمر	المعنى المراد
1	خذ الكتاب	المعنى الحقيقي للأمر	6	دع من أعمال السر	الإرشاد
2	شاور سواك	الإرشاد	7	فعش واحدًا أو صل أخاك	التخير
3	واخفض جناحك وارغب بنفسك	الإرشاد الإرشاد	8	قل تمتعوا	المعنى الحقيقي للأمر التهديد
4	زر جدي	الثمني التمني	9	أعط الناس	دعاء
5	أريني	التعجيز	10	صبراً	المعنى الحقيقي للأمر

تمرينات

(1)

لم كانت صيغ الأمر في الأمثلة الآتية تفيدُ الإرشاد، و الالتماس،والتعجيز، و التمني، والدعاء على الترتيب؟:

(1) وَكُنْ عَلى حَذَرٍ للنّاسِ تَسْتُرُه ... وَلا يَغُرُّكَ مِنهُمْ ثَغْرُ مُبْتَسِمِ

(2) يا خَلِيلَيّ خَلِّياني وَما بي ... أَوْ أَعِيدَا إِلَيَّ عَهْدَ الشَّبابِ

(3) يا دَارَ عَبْلَةَ بالْجواءِ تَكَلَّمِي ... وعِمِي صَباحًا دَارَ عَبْلَةَ واسْلَمِي [1]

(2)

لمَ كانت صيغ الأمر في الأمثلة الآتية تفيد الدعاءَ والتعجيز، والتسوية، على الترتيب؟:

(1) اسْلَمْ يزيدُ فَما في الدِّين من أَوَدٍ ... إذا سَلِمتَ وما في المُلكِ منْ خَلل [2]

(1) البيت لعنترة بن شداد، وعبلة: اسم امرأة، و الجواء: واد في ديار بني عبس، و عمي صباحا: انعمي، يقول للدار: أخبريني عن أهلك أنعم الله حالك و سلمك من البلى.

(2) الأود: العوج، والخلل: الفساد في الأمر.

(2) أرني الذي عاشَرْتَهُ فَوَجدْتَه مُتَغاضِيًا لَكَ عَنْ أقَلِّ عثار

(3) اصْبِروا أوْ لا تَصْبِروا.

(3)

بين صيغ الأمر و ما يرادُ بها فيما يأتي:

(1) نَصح أحدُ الخلفاء عاملًا له فقال: تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اَلْقُرْآنِ وَ اِسْتَنْصِحْهُ، وَ أَحِلَّ حَلاَلَهُ وَحَرِّمْ حَرَامَهُ .

(2) وقال حكيم لابنه: يا بُنَيَّ اسْتَعِذْ بالله من شِرَار النَّاس، وكنْ مِنْ خِيارِهِمْ على حَذَر.

(3) يا بُنيَّ زاحِم العلماءَ برُكْبَتَيك، وأنْصتْ إليهم بأذنيْكَ، فإنَّ القلبَ يحْيا بنور العلم كما تحيا الأرضُ الميْتَةُ بمطر السماء.

(4) و قال أبو الطيب يخاطب سيف الدولة :

أجِزْني إذا أُنْشِدْتَ شِعرًا فإنّمَا بِشِعري أتاكَ المادِحونَ مُرَدَّدَا [1]

وَدَعْ كلّ صَوْتٍ غيرَ صَوْتي فإنّني أنَا الطّائِرُ المَحْكِيُّ وَالآخَرُ الصّدَى [2]

(5) وقال البحتري :

فاسلَمْ سَلامةَ عِرْضِكَ المَوْفورِ مِنْ صَرْفِ الحَوَادِثِ وَالزّمانِ الأنكَا

(6) و قال أبو نواس:

فـامْـضِ لا تَـمْـنُـنْ عـلـيّ يـداً مِنُّكَ المعروف مَـنْ كـدَرِهْ [3]

(7) و قال الصِّمة بن عبد الله :

قِفا وَدِّعا نَجدًا وَمَن حَلّ بالحِمَى وَقَـلَّ لنَجدٍ عِندَنَا أنْ يُوَدَّعَا [4]

(8) قال تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾. [الرحمن: 33]

(1) أجزني: كافئني، يقول: إذا أنشدك الشاعر شعرا فاجعل جائزته لي، لأن الذي أنشدته هو شعري أتاك به المادحون يرددونه عليك، والمعنى أنهم يسلخون معاني أشعاري و يقتبسون ألفاظي ويمدحونك.

(2) المعنى: لا يقال غير شعري فإن شعري هو الأصل و غيره حكاية له كالصدى الذي يحكي صوت الصائح.

(3) لا تمنن: لا تمتن، واليد: النعمة، يقول: لا تمتن على بما أسديت إلى من النعم فان المنة تهدم الصنيعة.

(4) الحمى: موضع فيه ماء و كلأ يمنع الناس منه، و النجد: كل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق، يقول: يا خليلي قفا حتى تودعا نجدا و من سكن حماه، والتوديع قليل عندي على نجد فإنه جدير بأكثر من ذلك.

(9) وقال أبو الطيب :

أَقِـلَّ اشتِياقًا أَيُّهَا القَلْبُ رُبَمَا رَأَيْتُكَ تُصْفي الوُدّ من ليسَ جازيًا[1]

(10) و قال مهيار الديلمي :

و عِـشْ إمـا قـريـنَ أخٍ وفـيٍّ أمينِ الغيبِ أو عَيْشَ الوحادِ

(11) و قال المعري :

أَبَـنَـاتِ الهَدِيل أَسْـعِـدْن أو عِدْ نَ قَلِيلَ الـعـزَاءَ بـالإسْـعـادِ[2]

إيـــهِ لـلـه درُّكُـــنَّ فـأنـتـ نَّ اللواتي تُحسِنَّ حِفْظَ الوِدَادِ[3]

(4)

(1) هات أمثلة لصيغ الأمر الأربع، بحيث يكون المعنى الحقيقي للأمر هو المراد في كل صيغة.

(2) هات مثالين لصيغة الأمر المفيد التخيير.

(3) هات مثالين لصيغة الأمر المفيد التهديد

(4) هات مثالين لصيغة الأمر المفيد التعجيز.

(5)

اِلعَبْ واهْجُر قراءةَ الدرْسِ.

قد يكون الأمر في الجملتين السابقتين للتوبيخ أو للارشاد، أو للتهديد. فبين حال المخاطب في كل حال من الأحوال الثلاث.

(6)

اسبحْ في البحرِ.

قد يكون الأمر في الجملة السابقة للدعاء، أو للالتماس، أو للتعجيز، أو للارشاد، فبين حال المخاطب في كل من الأحوال الأربع.

(1) أقل فعل الأمر من الإقلال، و تصفي: تخلص، يقول لقلبه: لا تشتق إلى من فارقته فإنك تخلص الود لمن لا يجزيك عليه بود مثله.

(2) الهديل: الذكر من الحمام أو صوته ، أو هو اسم الفرخ من عهد نوح كما تزعم العرب.

(3) إيه اسم فعل الأمر، و معناه طلب الزيادة من حديث أو عمل.

(7)

حول الجمل الخبرية الآتية إلى جمل إنشائية أمرية واستوف جميع صيغ الأمر:

أنتَ تبكرُ في عملك. يخرجُ عليٌّ إلى الرياض. تصبرُ نفسي على الشدائد. يأخذُ البطل سيفه. يثبت هشامٌ في مكانه. يترك محمد المزاح.

(8)

اشرح ما يأتي وبين ما راعك من بلاغته وحسن تأديته المعنى:

كان أبو مسلم [1] يقول لقوّاده: أشْعِروا قلوبكم الجراءةَ فإنها من أسباب الظفَر، وأكثروا ذكْرَ الضغائنِ فإنها تبعث على الإقدام، والزموا الطائفة فإنها حصنُ المحارب.

(2) النَّهْي

الأمثلة

(1) قال تعالى في النهي عن أخذ مال اليتيم بغير حق: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء:34].

(2) وقال في النهى عن قَطْع الإنسان رَحِمَه: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [النور:22][2].

(3) و قال في النهي عن اتخاذ بطانة السوء: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾[آل عمران:118][3].

***

(4) وقال مسلم بن الوليد في الرشيد:

لا يعدَمَنْكَ حِمَى الإسْلامِ مِنْ مَلِكٍ ... أَقَمْتَ قُلَّتَه مِنْ بَعْدِ تأويد[4]

(5) وقال أبو الطيب في سيف الدولة:

فَلا تُبْلِغَاهُ ما أَقُولُ فإنَّهُ ... شُجاعٌ متى يُذكَرْ لهُ الطَّعنُ يَشْتَقِ

(6) و قال أبو نواس في مدح الأمين:

---

(1) هو عبد الرحمن بن مسلم القائم بالدعوة العباسية، وأحد كبار القادة، كان فصيحا في العربية والفارسية، عالما بالأمور مقداما داهية حازما يروي الشعر ويقوله، وبلغ في عمره القصير منزلة عظماء العالم، وقد قتله المنصور لما رأى منه طمعا في الملك سنة 137هـ.

(2) يأتل : يحلف، و السعة: الغنى.

(3) لا يألونكم خبالا : أي لا يقصرون في إفساد شئونكم.

(4) قلة كل شيء : أعلاه ، و التأويد : التعويج.

يا ناقُ لا تَسْأمي أو تَبْلُغي مَلِكًا تَقبيلُ راحَتِهِ والرّكنِ سيّانِ [1]

متى تَحُطّي إلَيهِ الرّحلَ سالِمَةً تَسْتَجْمِعي الخَلْقَ في تِمْثالِ إنْسانِ

(7) و قال أبو العلاء:

وَلا تجلس إلـى أَهْـل الدنايا فـإن خَـلائـقَ السفَهَاءِ تُـعْـدِى

(8) و قال أبو الأسود الدؤلي [2]:

لا تَنْهَ عَـنْ خُلُقٍ وتَـأْتِـيَ مِثْلَهُ عَـارٌ عَلَيْكَ إذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

(9) و قال آخر:

لا تَـعْـرِضَـنَ لِجَعْفَرٍ مُتَشَبّهًا بَنَدَى يَدَيْهِ فَلستَ مِـنْ أنْـدَادِهِ

(10) لا تَمْتَثِلْ أمري (تقول ذلك لمن هو دونك).

(11) قال أبو الطيب يهجو كافورًا:

لا تَشْتَرِ العَبْدَ إلاّ وَالعَصَا مَعَهُ إنّ العَبيدَ لأنْـجَـاسٌ مَنَاكِيدُ[3]

البحث

إذا تأملت أمثلة الطائفة الأولى رأيت كلاً منها يشتمل على صيغة يُطلب بها الكف عن الفعل، وإذا أنعمت النظر رأيت طالب الكفّ فيها أعظم وأعلى ممن طلب منه. فإن الطالب في أمثلة هذه الطائفة هو الله سبحانه وتعالى والمطلوب منهم هُمْ عبادُه. وهذا هو النهي الحقيقي، وإذا تأملت صيغته في كل مثال يرد عليك وجدتها واحدة لا تتغير، وهي المضارع المقرون بلا الناهية. انظر إذًا إلى الطائفة الثانية تجد أن النهي في جميعها لم يستعمل في معناه الحقيقي. وهو طلب الكف من أعلى لأدنى؛ وإنما يدل على معان أخرى يدركها السامع من السياق وقرائن الأحوال. فمسلم بن الوليد في المثال الرابع لا يقصد من النهي إلا الدعاءَ للخليفة الرشيد بالبقاء لتأييد الإسلام و إعلاء كلمته. وأبو الطيب في المثال الخامس إنما يلتمس من صاحبيه أن يكْتُما عن سيف الدولة ما سمعاه في وصف شجاعته و فتكه بالأعداء و حسْن بلائه في الحروب؛ لأنه شجاع و الشجعان يشتاقون إلى الحروب متى ذُكرت لهم، وهذا على ما جرت به عادة العرب في شعرهم إذ يتخيل الشاعر أن له رفيقين يصطحبانه، ويستمعان لإنشاده. فيخاطبهما مخاطبة الأنداد، وصيغة النهي متى وجِّهَتْ من

(1) الراحة: الكف، والركن: يريد به ركن الحطيم بالكعبة.

(2) هو ظالم بن عمرو بن ظالم من قبيلة الدئل. كان شاعرا مجيدا و فقيها محدثا، و فارسا شجاعا، صحب عليا و شهد معه صفين، و هو أول من وضع النحو بإشارة علي رضي الله عنه ، توفي سنة 65هـ.

(3) المناكيد : جمع منكود و هو قليل الخير : أي أن العبد لا يصلح إلا بالضرب و الإهانة.

ندٌّ إلى نده أفادت الالتماس. وأبو نوَاس في المثال السادس إنما يتمنى أن تتحمل ناقته مشاق السفر وألا ينزل بها السأم حتى تَبلغ ديار الأمين، فترى هناك كيف جمع الله العالَمَ في صورة إنسان. وأبو العلاء في بيته إنما ينصح مخاطبه و يرشده إلى الابتعاد عن السفهاء و أهل الدنايا. وأبو الأسود إنما يقصد توبيخ من ينهَى الناس عنَ السوء ولا ينتهي عنه، ويقصد الآخرون في الأمثلة الثلاثة الباقية إلى التيئيس، والتهديد، والتحقير على الترتيب.

القواعد

(40) النَّهيُ طَلَبُ الكَفِّ عَن الْفِعْل عَلَى وَجْه الاستعلاء.

(41) للنَّهْي صِيغَةٌ واحِدةٌ هي المضَارعُ مَعَ لا النَّاهِيَة.

(42) قَدْتَخْرُجُ صيغَةُالنَّهي عَنْ مَعْناهاالحقيقي إلى مَعانٍ أخرى تُسْتَفَادُ مِنَ السياق وقَرَائن الأحوال، كالدُّعاء، والالتماس، والتمني، والإرشاد، والتوبيخ، والتيئيس، والتهديد، والتحْقير.

نموذج

بَيِّنْ صيغةَ النهي والمراد منها في كل مثال من الأمثلة الآتية :

(1) قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف:56].

(2) و قال أبو العلاء :

لا تَحلِفَنّ على صِدقٍ ولا كَذِبٍ ... فما يُفيدُكَ إلاّ المأثَمَ الحَلِفُ

(3) و قال تعالى: ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ [الحجرات:11].

(4) و قال تعلى ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة:66].

(5) و قال البحتري يخاطب المعتمدَ[1] على الله :

لاَ تَخْلُ من عَيشٍ يكُرُّ سُرورُه ... أبَـدًا ونَـوْروزٍ عَلَيْكَ مُـعَـادِ[2]

(6) و قال الغَزِّي:

و لا تُثْقِلاَ جيدي بمِنةِ جاهل ... أرُوحُ بهَا مِثْل الْحمَام مُطَوَّقًا

(7) و قال آخر :

لا تطلُبِ المجدَ إنَّ المجدَ سُلَّمه ... صعبٌ وَعِشْ مُسْتريحًا نَاعِمَ الْبَالِ

(8) و قالت الخنساء ترثي أخاها صخرًا [3]:

(1) هو الخليفة العباسي الخامس عشر، بويع بالخلافة سنة 256هـ واشتهر بالحلم الواسع، وتوفي سنة 279هـ.

(2) النوروز : أول يوم في السنة الشمسية و هو من أعياد الفرس.

(3) هو الشهم الكريم أخو الخنساء لأبيها، و قد قتل قبل الإسلام بقليل فرثته أخته بقصائد غراء نالت من اجلها الصيت الذائع بين شعراء الجاهلية و المخضرمين.

أعـيـنَـيَّ جُـــودا ولاَ تَـجْـمُـدَا ألا تبكِيانِ لِصخْرِ الـنَّـدى[1]

(9) و قال خالدُ بنُ صفْوان: لا تطلبوا الحاجاتِ في غير حِينِهَا، ولا تطلبوا مِنْ غير أهْلِها.

الإجابة

الرقم	صيغة النهي	المعنى المراد	الرقم	صيغة النهي	المعنى المراد
1	ولا تفسدوا	المعنى الحقيقي للنهي	6	لا تثقلا	الالتماس
2	لا تحلفن	الإرشاد	7	لا تطلب	التحقير
3	لا يسخر	التوبيخ	8	لا تجمدا	التمني
4	لا تعتذروا	التيئيس	9	لا تطلبوا	الإرشاد
5	لا تخل	الدعاء		ولا تطلبوا	الإرشاد

تمرينات

(1)

لِمَ كان النهيُ فيما يأتي للإرشاد، و التمني، والتهديد، و التحقير،على الترتيب؟:

(1) لا يَخْدَعَنّكَ مِـنْ عَـدُوٍّ دَمْعُهُ وَارْحَـمْ شَبابَكَ من عَـدُوٍّ تَرْحَمُ

(2) لا تُمْطِري أيَّتُها السماءُ.

(3) لا تُقْلِعْ عن عِنادكَ (تقوله لمنْ هو دونك).

(4) لا تُجْهِدْ نفسَك فيما تعِبَ فيه الكرامُ.

(2)

بينْ صيغَ النهى والمرادَ من كلّ صيغة فيما يأتي:

(1) قال أبو الطيب في مدح سيف الدولة :

لا تَطْلُبَنّ كَريمًا بَعْدَ رُؤيَـتِـهِ إنّ الكِرامَ بأسخاهُمْ يَدًا خُتِمُوا

(2) لا تَحْسَبِ الْمجْد تَمْرًا أنْتَ آكِلُه لَنْ تبْلُغ الْمجْد حتَّى تَلْعقَ الصَّبرا

(1) لا تجمدا: أي لا تبخلا بالدموع.

(3) و قال الطغرائي [1]:

لا تطْمحنَّ إلى المراتِبِ قَبْل أن ... تتكاملَ الأدواتُ والأسبابُ

(4) و قال الشريف الرضي:

لا تأمننَّ عدُوًّا لانَ جانبُهُ ... خشُونةُ الصِّلّ عُقْبَى ذلكَ اللين [2]

(5) و قال أبو الطيب :

فلا تَنَلْكَ اللّيالي إنّ أيْدِيَهَا ... إذا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بالغَرَبِ [3]

(6) لا تلهينَّكَ عن معادكَ لذَّةٌ ... تَفْنى وتُورثُ دائمَ الحسراتِ

(7) لا تَحْسَبُوا مَن قَتَلْتُمْ كانَ ذا رَمَقٍ ... فَلَيْسَ تأكُلُ إلاّ المَيْتَةَ الضبُعُ

(8) وقال أبو العلاء :

لا تَطْوِيَا السرَّ عنّي يَومْ نائبةٍ ... فإنَّ ذلكَ ذَنْبٌ غيرُ مُغتَفَر

و الخِلُّ كالماءِ يُبْدِي لي ضمائرَه ... مع الصَّفَاءِ ويُخْفِيهَا مع الكَدر

(9) وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة:188].

(10) و قال أبو الطيب :

وَلا تَشَكَّ إلى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ ... شكوَى الجريحِ إلى الغِرْبانِ وَالرَّخَم [4]

(11) لا تطلبِ المجدَ واقنعْ ... فَمَطْلَبُ المجدِ صَعْبُ

(3)

(1) هات مثالين تفيدُ صيغةُ النهي في كل منهما المعنى الأصلي للنهي.

(2) هات ثلاثة أمثلة تكون صيغة النهي في المثال الأول منها مفيدة الدعاء، و في الثاني الالتماسَ، و في الثالث التمني.

(3) هات ثلاثة أمثلة تكون صيغة النهي في أولها للإرشاد، و في الثاني للتيئيس. وفي الثالث للتهديد.

(1) هو مؤيد الدين الأصبهاني المعروف بالطغرائي، فاق أهل زمنه في صنعة النظم والنثر، وقد رمي بالإلحاد فقتل 514هـ.

(2) الصل بالكسر : الحية التي لا تنفع منها الرقية.

(3) تنلك : تصيبك. والنبع : شجر صلب. والغرب : نبت ضعيف، يقول: لا أصابتك الليالي بسوء فإنها تغلب القوي بالضعيف.

(4) تشك مضارع من النشكي، و شكوى مفعول مطلق، الرخم: طائر، يقول: لا تشك إلى أحد ما ينزل بك من ضر لئلا تشمته بشكواك، فيكون حالك كحال الجريح يشكو جراحه إلى الطيور التي ترقب موته لتأكله.

(4)

لا تُفَارقْ فِراشَ نومِك.

قد يكون النهى في الجملة السابقة للإرشاد. أو التهديد، أو التوبيخ فبين حال المخاطب في كل حال من الأحوال الثلاث.

(5)

حول الجمل الخبرية الآتية إلى جمل إنشائية من باب النهى، و عين المرادَ من صيغة النهي في كل جملة تأتي بها:

(1) أنتَ تعتمدُ على غيرك.
(2) أنتَ تطيعُ أمري.
(3) أنتَ تكثرُ من عتاب الصديق.
(4) أنتَ تنهى عن الشر و تفعله.
(5) أنتم تعتذرونَ اليوم.
(6) أنتَ تؤاخذني بكل هفوة.
(7) يحضرُ عليٌّ مجلسنا.
(8) يهملُ القرويونَ تعليم أبنائهم.

(6)

اشرح البيتين الآتيين وبيّن المراد من صيغتي النهي فيهما:

فَلا تُلْزِمَنَّ الناس غَيْرَ طباعهمْ ... فَتَتْعب مِن طول العِتَابِ ويَتعبُوا
ولا تغْتَرِرْ منهم بحُسنِ بشاشَةٍ ... فَأكثَرُ إيماضِ البوارقِ خلَّبُ[5]

(3) الاستفهامُ وأدواته

(أ)- الهمزةُ وهلْ

الأمثلة

(أ)
(1) أَأَنتَ الْمُسَافِرُ أَمْ أَخُوكَ؟
(2) أَ مُشْتَرٍ أَنتَ أَمْ بَائِعٌ؟
(3) أَشَعِيرًا زَرَعْتَ أَمْ قَمْحاً؟
(4) أَراكِبًا جِئْتَ أَمْ مَاشِياً؟
(5) أَيَوْمَ الجمعةِ يستَرِيحُ العُمَّالُ أَمْ يَوْمَ الأَحَدِ؟

(ب)
(6) أَ يَصْدَأُ الذَّهَبُ؟
(7) أَ يسيرُ الغمامُ؟
(8) أتتحركُ الأرضُ؟

***

(5) إيماض البرق: لمعانه، والبوارق جمع بارقة: و هي البرق، والخلب: الذي ليس بعده مطر.

(جـ) (9) هَلْ يَعْقِلُ الحيوانُ؟
(10) هَلْ يُحِسُّ النباتُ؟
(11) هَلْ ينمُو الْجَمَادُ؟

البحث

الجمل السابقة جميعها تفيد الاستفهام، وهو كما تعلم طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل، وأدواته في أمثلة الطائفتين أ، ب «الهمزة» وفي أمثلة الطائفة جـ «هل». ونريد هنا أن نعرف الفرق بين الأداتين في المعنى والاستعمال. تدبر أمثال الطائفة «أ» حيث أداة الاستفهام هي الهمزة، تجد أن المتكلم في كل منها يعرف النسبة التي تضمنها الكَلامُ، ولكنه يتردد بين شيئين ويطلب تعيين أحدهما، لأنه في المثال الأول مثلاً يعْرف أن السفر واقع فعلا، وأنه منسوب إلى واحد من اثنين، المخاطب أو أخيه، فهو لذلك لا يطلب معرفة النسبة، وإنما يطلب معرفة مفرد، وينتظر من المسئول أن يعين له ذلك المفرد ويدله عليه، ولذلك يكون جوابه بالتعيين فيقال له:«أخي»، مثلاً. وفي المثال الثاني يعلم السائل أن واحدًا من شيئين:الشراء أم البيع قد نسب إلى المخاطب فعلاً، ولكنه متردد بينهما فلا يدري أهو الشراء أم البيع، فهو إذا لا يطلب معرفة النسبة لأنها معروفة له، ولكنه يسأل عن مفرد ويطلب تعيينه، ولذا يجاب بالتعين فيقال له في الجواب: «بائع» مثلاً، وهكذا يقال في بقية أمثلة الطائفة «أ».

وإذا تدبرت المفرد المسئول عنه في أمثلة هذه الطائفة، وكذلك في كل مثال آخر يعرض لك، وجدته دائمًا يأتي بعد الهمزة مباشرة، سواء أكان مسندًا إليه كما في المثال الأول أم مسندًا كما في الثاني، أم مفعولاً به كما في الثالث، أم حالا كما في الرابع، أم ظرفًا كما في الخامس، أم غير ذلك، ووجدت له معادلا يذكر بعد «أم» كما ترى في الأمثلة. وقد يحذف هذا المعادل فتقول: أأنت المسافر؟ أمشتر أنت؟ وهلم جرّاً. انظر إلى أمثلة الطائفة «ب» حيث أداة الاستفهام هي الهمزة أيضا، تجد الحال على خلاف ما كانت في أمثلة الطائفة «أ» فإنَّ المتكلم هنا متردد بين ثبوت النسبة ونفيها، فهو يجهلها ولذلك يسأل عنها ويطلب معرفتها، ففي المثال السادس مثلاً يتردد المتكلم بين ثبوت الصدأ للذهب ونفيه عنه، ولذلك يطلب معرفة هذه النسبة. ويكون جوابه بنعم إن أريد الإثبات، وبلا إن أريد النفي، وإذا تأملت الأمثلة هنا لم تجد للمسئول عنه وهو النسبة معادلاً. ومما تقدم ترى أن للهمزة استعمالين، فتارة يطلب بها معرفة مفرد، وتارة يطلب بها معرفة نسبة، وتسمَّى معرفة المفرد **تصورا** ومعرفة النسبة **تصديقا**. انظر إلى أمثلة الطائفة « جـ » حيث أداة الاستفهام « هل» تجد أن المتكلم في كل منها لا يتردد في معرفة مفرد من المفردات، ولكنه متردد في معرفة

النسبة فلا يدري أمثبتة هي أم منفية فهو يسأل عنها، ولذلك يجاب بنعم إن أريد الإثبات، وبلا إن أريد النفي، ولو أنك تتبعت جميع الأمثلة التي يستفهم فيها بهل لوجدت المطلوب هو معرفة النسبة ليس غيرُ، «فهل» إذًا لا تكون إلا لطلب التصديق ويمتنع معها ذكر المعادل.

القواعد

(43) الاستفهامُ طلَبُ العِلْمِ بشيءٍ لَمْ يَكُن مَعْلومًا مِنْ قَبْلُ، ولهُ أَدَواتٌ كثيرَةٌ مِنها: الْهَمْزَةُ، وهلْ.

(44) يُطْلَبُ بالْهَمْزَةِ أَحَدُ أَمْرَيْن:

(أ) التَّصَورُ، وهو إدْراكُ الْمُفْرَدِ، وفي هذِهِ الحَال تأتي الهمْزَةُ متلوَّةً بالْمَسْئُول عَنْهُ، ويُذْكَرُ لهُ في الغَالِبِ مُعَادِلٌ بَعْدَ أَمْ.

(ب) التَّصْديقُ وهو إدْراكُ النِّسْبَةِ، وفي هذه الحال يمتَنعُ ذكْرُ الْمُعَادِل [1].

(45) يُطْلَبُ بهل التَّصْدِيقُ لَيْسَ غَيْرُ، وَيمتَنعُ مَعَهَا ذكْرُ الْمُعَادل [2].

(ب) بَقيةُ أدوات الاستفهَام

الأمثلة

(1) مَن اخْتَطَّ القَاهِرَةَ ؟ (2) مَنْ حفر تُرْعَةَ السُّوَيْسِ؟

(3) مَا الْكَرَى؟ (4) مَا الإِسْرَافُ؟

***

(5) مَتَى تَوَلى الخِلافَةَ عُمَرُ؟ (6) مَتَى يَعُودُ المُسَافرُونَ؟

(7) قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: 6]

(8) وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: 42]

البحث

الجملُ المتقدمة جميعها استفهامية، وإذا تأملت معاني أدوات الاستفهام هنا رأيت أن (مَنْ) يطلب بها تعيينُ العقلاء، وأن (ما) تكون لغير العقلاء، ويطلب بها تارة شرح الاسم كما إذا قلت: ما الكَرى؟ فتجاب بأنه النوم، وتارة يطلب بها حقيقة المسمَّى، كما

(1) إن جاءت (أم) بعد همزة التصور تكون «متصلة»، وإن جاءت بعد همزة التصديق أو هل قدرت (منقطعة) وتكون بمعنى (بل).

(2) هل، قسمان: بسيطة إن استفهم بها عن وجود الشيء أو عدمه نحو: هل الإنسان الكامل موجود؟ ومركبة إن استفهم بها عن وجود شيء لشيء نحو: هل النبات حساس؟

إذا قلت: ما الإسرافُ؟ فتجاب بأنه تجاوز الحد في النفقة وغيرها، ووجدت أن (متى) يطلب بها تعيين الزمان ماضيًا أو مستقبلاً، وأيان للزمان المستقبل خاصة وتكون في موضع التفخيم والتهويل. وهناك أدوات أخرى للاستفهام هي: كيف، وأين، وأنَّى، وكم، وأي، «فكيف» يطلب بها تعيين الحال نحو: كيف جئتم؟ و(أين) يطلب بها تعيين المكان نحو: أين دِجلة والفرات؟ و (أنَّى) تكون بمعنى كيف، نحو: أنَّى تسودُ العشيرةُ وأبناؤها متخاذلون؟، وبمعنى من أين نحو: أنَّى لهم هذا المال وقد كانوا فقراءَ؟ وبمعنى متى نحو: أنَّى يحضرُ الغائبون؟، و(كم) يطلب بها تعيين العدد نحو: كم جنديًا في الكتيبة؟، وأما (أيُّ) فيطلب بها تعيين أحد المتشاركَيْن في أمر يعمهما؟ نحو: أي الأخوين أكبر سنا؟، وتقع على الزمان، والمكان، والحال، والعاقل، وغير العاقل على حسب ما تضاف إليه. جميع هذه الأدوات تأتي للتصور ليس غير، ولذلك يكون الجواب معها بتعيين المسئول عنه.

القواعد

(46) لِلاسْتِفْهَام أَدَوَاتٌ أخرى غيْرُ الهمزة وهَلْ، وهي:

مَنْ ويُطْلَبُ بهَا تَعْيين الْعُقَلاَء.

ما ويُطْلَبُ بهَا شَرْحُ الاسم أو حقيقة المسمَّى.

مَتَى ويُطْلَبُ بهَا تَعْيينُ الزَّمَان مَاضِيًا كانَ أو مستقبلا.

أَيَّان ويُطْلَبُ بهَا تَعْيينُ الزَّمَان الْمُسْتَقْبَل خاصَّةً وتكون في مَوْضِع التَّهويل.

كَيفَ وَيُطلَبُ بها تَعْيينُ الحال.

أيْنَ ويُطْلَبُ بهَا تَعْيينُ المكان.

أَنَّى وتأتي لِمَعَان عِدَّة، فتكونُ بمعْنَى كَيْفَ، وبمعنى مِنْ أَيْنَ، وبمعنى مَتى.

كَمْ ويُطَلَبُ بها تَعْيينُ العَدَد.

أي ويُطلَبُ بهَا تَعْيينُ أَحَدِ الْمُتَشَاركين في أَمْرٍ يَعُمُّهُمَا، ويُسْأَلُ بها عَن الزَّمَان، والْحَال، والعَدَدِ، والعَاقِل، وغير العاقل، عَلَى حَسَبِ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ.

(47) جَمِيعُ الأَدَوَاتِ الْمُتَقَدِّمةِ يُطلَبُ بها التصوُّر، ولذلك يكونُ الجوابُ معَهَا بَتعْيين الْمَسْئُول عَنْهُ.

(جـ) المعاني التي تُستفادُ من الاستفهام بالقرائن

الأمثلة

(1) قال البحتري :

هل الدهر إلا غَمْرةٌ وانجلاؤها ... وشيكًا وإلا ضِيقةٌ وانفراجُها؟[1]

(2) وقال أبو الطيب في المديح :

أتَلْتَمِسُ الأعداءُ بَعدَ الذي رَأتْ ... قِيَامَ دَليلٍ أوْ وُضُـوحَ بَيَانِ؟[2]

(3) و قال البحتري :

أَلَسْتَ أعَمَّهُمْ جُوداً وأزْكَا ... هُمُ عُوداً وأمضَاهُمْ حُسَامَا؟[3]

(4) وقال آخر:

إلامَ الْخُلْفُ بَيْنَكُمُ إلا ما ... وهَذِه الضَّجةُ الكُبرَى عَلامَا؟

(5) وقال أبو الطيب في الرثاء :

مَن للمَحافِلِ وَالجَحافِلِ وَالسُّرَى ... فَقَدَتْ بفَقْدِكَ نَيِّرًا لا يَطْلُعُ

وَمَنِ اتخذتَ على الضّيوفِ خَليفَةً ... ضَاعُوا وَمِثْلُكَ لا يكادُ يُضَيِّعُ

(6) وقال يهجو كافورًا :

من أيّةِ الطُرُقِ يأتي مثلَكَ الكَرَمُ؟ ... أينَ المَحاجِمُ يا كافُورُ وَالجَلَمُ[4]

(7) و قال أيضًا :

حَتّامَ نحنُ نُساري النّجمَ في الظُّلَمِ ... ومَا سُرَاهُ على خُفٍّ وَلا قَدَمِ؟[5]

(8) وقال أيضًا وقد أصابته الحمَّى :

أبِنْتَ الدّهْرِ عِندي كُلُّ بِنْتٍ ... فكَيفَ وَصَلْتِ أنتِ منَ الزّحَامِ[6]

---

(1) الغمرة: الشدة، وانجلاؤها : زوالها، ووشيكًا: سريعاً.

(2) يقول : هل يطلب أعداؤك دليلا على أن الله يريد أن يجعل أمرك هو الغالب بعد ما رأوا الأدلة على ذلك.

(3) أزكاهم عودا: أقواهم جسماً.

(4) المحاجم : جمع محجمة وهي القارورة يحجم بها الجلد، ويقال لها كاس الحجامة، الجلم: أحد شقي المقراض والمراد به المشراط. قيل إن كافورا كان عبدا لحجام بمصر ثم اشتراه الإخشيد.

(5) نساري : من السرى وهو مشي الليل، يقول: حتى متى نسرى مع النجم في الليل، وهو لا يسرى على خف كالإبل ولا على قدم كالناس، فلا يتعب مثلنا ومثل مطايانا.

(6) يريد ببنت الدهر : الحمى التي أصيب بها، وبنات الدهر: شدائده ومصائبه. يقول للحمى: عندي كل نوع من أنواع الشدائد، فكيف لم يمنعك ازدحامها من الوصول إليّ.

(9) وقال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: 136].

(10) وقال تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾ [الأعراف: 53].

(11) وقال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الصف: 10].

البحث

عرفتَ فيما مضى ألفاظ الاستفهام ومعانيها الحقيقية. هنا نريد أن نبين لك أن هذه الألفاظ قد تخرج إلى معان أخرى تستفاد من السياق. تدبر الأمثلة المتقدمة تجد البحتري في المثال الأول لا يسأل عن شيء، وإنما يريد أن يقول ما الدهر إلا شدة سرعان ما تنجلي، وما هو إلا ضيق يعقبه فرج، فلفظة هل في كلامه إنما جاءت للنفي لا لطلب العلم بشيء كان مجهولا. وأبو الطيب في المثال الثاني إنما ينكر على الأعداء ارتيابهم في عُلا كافور والتماسهم البراهين على ما كتبه الله له من النصر واختصه به من الجدِّ السعيد، بعد أن رأوا كيف يتردَّى في المهالك كل من أراد به شرًّا، وكيف يُصيب الزمان كل من نوى له سوءا، فالاستفهام في البيت لا يفيد معنى سوى الإنكار. والبحتري في المثال الثالث إنما يريد أن يحمل الممدوح على الإقرار بما ادعاه له من الفوْق على بقية الخلفاء في الجود وبسطة الجسم والشجاعة. وليس من قصده أن يسأل، فالاستفهام في كلامه للتقرير. والشاعر في المثال الرابع يلوم مخاطبيه على تماديهم في الشقاق واستمرارهم في التخاذل والتنافر. ويقرعهم على غلوهم في الصخَب والضجيج، فهو قد خرج بأداة الاستفهام عن معناها الأصلي إلى التوبيخ والتقريع. وأبو الطيب في المثال الخامس يقصد إلى التعظيم والإجلال بإظهار ما كان للمرثي أيام حياته من صفات السيادة والشجاعة والكرم، مع ما في ذلك من إظهار التحسر والتفجع. أما في المثال السادس حيث يهجو كافورًا فإنه ينتقصه ويعمِدُ إلى تحقيره والحطّ من كرامته. وإذا تدبرت بقية الأمثلة وجدت أدوات الاستفهام قد خرجت عن معانيها الأصلية إلى الاستبطاء، والتعجب، والتسوية، والتمني، والتشويق، على الترتيب.

القاعدة

(38) قَدْ تَخْرُجُ ألفاظُ الاستفهام عَنْ معَانيها الأَصْليَّة لمعَانٍ أُخْرى تستفَادُ من سياق الكلام كالنَّفْي، والإنْكَار، والتَّقْرير، والتَّوْبيخ، والتعظيم، والتحقير، والاستبطاء، والتَّعَجب، والتَّسْوية، والتَّمَنِّي، والتشويق.

نموذج (1)

(1) شَبَّ في المدينة حريقٌ لم تره، فسلْ صديقك عن رؤيته إيَّاه.

(2) سمعت أنَّ أحد أخويك عليٌّ ونجيب أنقذ غريقاً. فسل عليًّا يعين لك المنقذ.

(3) إذا كنت تعرف أنَّ البنفسج يكثر في أحد الفصلين الخريف أو الشتاء لا على التعيين، فضَع سؤالا تطلب فيه تعيين أحد الفصلين.

الإجابة (1)

الرقم	السؤال المطلوب	شرح الإجابة
(1)	هل رأيت الحريق الذي شب في المدينة؟	السؤال هنا عن النسبة، وهل والهمزة صالحتان للاستفهام عنها، فتذكر إحداهما ويؤتى بعدها بالجملة.
(2)	أأنت الذي أنقذت الغريق أم نجيب؟	السؤال هنا للمسند إليه، فيستفهم بالهمزة ويؤتى بعدها بالمسؤول عنه ثمَّ يؤتى بمعادل بعد أم.
(3)	أفي الخريف يكثر البنفسج أم في الشتاء؟	السؤال عن الظرف ويتبع في تكوينه ما اتبع في المثال السابق.

نموذج (2)

لبيان الأغراض التي يدلُّ عليها الاستفهام في الأمثلة الآتية :

(1) قال أبو تمام في المديح :

هَل اجتَمعتْ أحْيَاءُ عَدْنَانَ كُلُّهَا ... بِمُلْتَحَمٍ إلاَّ وأَنْـت أَمِيرُها؟[1]

(2) وقال البحتري :

أأكفُرُكَ النَّعْمَاءَ عندي وَقد نمتْ ... عَلَيّ نُمُوَّ الفَجْرِ والفَجْرُ ساطِعُ ؟

وأنتَ الذي أعْزَزْتَني بَعدَ ذِلّتي ... فلا القَوْلُ مَخفوضٌ ولا الطَّرْفُ خاشِعُ[2]

(3) وقال ابن الرومي في المدح:

ألستَ المرءَ يَجْبِي كل حَمْدٍ ... إذا ما لم يكنْ للحمدِ جـابِ؟[3]

(4) وقال أبو تمام:

مَا للخُطوبِ طَغَتْ عليَّ كأنَّها ... جهلتْ بـأنَّ نـداكَ بالمرصادِ؟

(5) وقال آخر :

فَدَعِ الوَعيدَ فما وَعيدُكَ ضائري ... أطَنينُ أجْنِحَةِ الذُّبابِ يَضيرُ؟[4]

(1) أحياء عدنان: بطونها؛ الملتحم: مكان اشتداد القتال.
(2) القول المخفوض : ما كان لينا ليست فيه شدة، والطرف الخاشع: العين فيها انكسار وذلة.
(3) يجبي : يجمع. (4) الطنين : صوت أجنحة الذباب ، ويضير: يضر.

(6) أضاعوني وأيَّ فَتى أَضاعوا؟ لِيـوْم كريهَة وسـداد ثَـغْـر[1]

الإجابة

الرقم	صيغة الاستفهام	الغرض	الشرح
1	هل اجتمعت أحياء عدنان	النفي	لأن المعنى أن بطون عدنان لم تجتمع في مكان قتال إلا أنت أمير عليها.
2	أأكفرك النعماء عندي.	الإنكار	فإن البحتري يريد أن يقول لممدوحه إنه لا يليق في أن أكفر نعماءك فقد غمرتني بها غمراً، وبدلتني بالذل عزا، وبالخضوع والخشوع عظمة وعلواً.
3	ألست المرء يجبي كل حمد	التقرير	لأن القائل يريد أن يحمل الممدوح على الإقرار بما ادعاه من اجتماع المحامد له.
4	ما للخطوب طغت علي	التعجب	فإن أبا تمام يعجب من تراكم الشدائد عليه في حين أن ممدوحه لها بالمرصاد يدفعها عنه نداه وعطاياه، ولذلك قال كأنها جهلت بأن نداك بالمرصاد.
5	الطنين أجنحة الذباب يضير	التحقير	لأن الشاعر يشبه وعيد عدوه بصوت أجنحة الذباب.
6	أضاعوني وأي فتي أضاعوا	التعظيم	لأن المتكلم يريد أن يرفع من شأن نفسه ويبين أنه عماد العشيرة في أو قات الحروب والشدائد.

تمرينات

(1)

(1) وعدك صديق أن يزورك في الغد، فشككتَ في أنه يزورك قبل الظهر أو بعده، فضع سؤالًا تطلب به تعيين الوقت.

(2) علمتَ أنَّ واحدًا من عَميْكَ حامِد ومحمود قد اشترى بيتا، فضع سؤالًا تطلب به تعيين المشتري.

(3) إذا كنتَ شاكًا في أن القصب يزرع في الربيع أو في الصيف، فكيف تصوغ السؤال الذي تطلب به من المخاطب تعيين الزمان؟

(4) سل صديقك عن ميله إلى الأسفار.

(1) الكريهة: الشدة في الحرب، والثغر: موضع المخافة من العدو عند حدود البلدان، ويريد بسداده سده بالخيل والرجال.

(2)

سل عن: الحال، والمفعول به، والظرف، والمبتدأ، والخبر، والجار والمجرور، في الجمل الآتية:

نظم القصيدة متأثرا - اشترى قلمًا - كتب الرسالة ليلًا - عليٌّ الفائز - مصر خِصْبة - الكتاب في البيت.

(3)

سل عما يأتي:

(ا) أول الخلفاء الراشدين.

(ب) أطول شارع في المدينة.

(حـ) حال مصر أيام المماليك

(د) الزمن الذي ينضج فيه العنب.

(هـ) عدد المدارس العالية في مصر.

(و) موطن الفِيلة.

(ز) حقيقة الصدق.

(ح) معنى الضَّيْغَم.

(4)

(1) لم كان الاستفهام في الأمثلة الآتية مفيدا النفي، والإنكار، والتعظيم، على الترتيب؟

(أ) هل الدهْرُ إلا ساعةٌ ثم تنقضي ... بما كان فيها من بلاءٍ ومن خَفْض؟[1]

(ب) قال تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: 40].

(حـ) منْ منكُمُ الملكُ المطاعُ كأنَّهُ ... تحتَ السوابغِ تُبَّعٌ في حِمْيَرِ؟[2]

(2) لم كان الاستفهام في الأمثلة الآتية مفيدًا التقرير، والتعجب والتمني على الترتيب؟

(أ) قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: 18].

(ب) قالت إحدى نساء العرب تشْكو ابنها:

أنشَا يُمزِّق أثوابي يؤدِّبني ... أبَعْدَ شَيْبي يبْغى عندِيَ الأدبا؟

(حـ) وقال أبو العتاهية في مدح الأمين:

تذكَّرْ أمينَ اللهِ حَقّي وحُرْمَتي ... وما كنت تُوليني لعلَّك تَذْكُرُ

فمَن لي بالعين التي كنتَ مرّةً ... إليَّ بها من سالِفِ الدَّهْرِ تَنْظُرُ؟

---

(1) البلاء: الهم والغم، والخفض: النعيم والدعة.

(2) البيت لابن هانئ الأندلسي، والسوابغ: الدروع، تبع: ملك اليمن، وحمير: موضع أو قبيلة غربي صنعاء؛ يخاطب الجيش ويقول: أيها الجنود من منكم الملك الذي له من القوة والسلطان ما لتبع.

(5)

ماذا يُرادُ بالاستفهام في الأمثلة الآتية؟:

(1) قال المتنبي :

ومَـنْ لم يَعشَقِ الدّنيا قَديمًا؟ ولكِنْ لا سَبيلَ إلى الوِصالِ [1]

(2) وقال :

وَلَسْتُ أُبالي بَعدَ إدراكـيَ العُلا أكانَ تُراثًا ما تَناوَلْتُ أمْ كَسْبَا؟ [2]

(3) وقال :

وَهَـلْ تُغْني الرّسائِلُ في عَـدُوٍّ إذا ما لم يَكُنَّ ظُبًا رِقـاقـا؟ [3]

(4) وقال حينما صرع بدرُ بن عمّار أسدا:

أُمُعَفِّرَ اللّيْثِ الهِزَبْرِ بسَوْطِهِ لمَنِ ادّخَرْتَ الصّارِمَ المَصْقُولا؟ [4]

(5) وقال أبو تمام:

أُؤْلَبس هُجْرَ القولِ مَنْ لوْ هَجوتُهُ إذًا لهجاني عنهُ مَعروفهُ عِندي ؟

(6) وكَيْفَ أَخافُ الفَقْرَ أو أحْرَمُ الغِنَى ورَأْيُ أَمِيرِ المُؤْمِنينَ جَميل

(7) ما أنـتِ يا دُنْيا ؟ أرُؤْيـا نائمٍ أمْ ليلُ عُرْسٍ أمْ بساطُ سُلافِ؟ [5]

(8) وقال أبو الطيب :

وَمَـا لكَ تُعْنَى بالأسِنّةِ وَالقَنَا؟ وَجَـدُّكَ طَـعّـانٌ بغَيرِ سِـنَـانِ [6]

(9) هـل بالطُّلُول لسائلٍ رَدُّ؟ أَم هَـلْ لها بتكلُّم عَـهْـدُ ؟

(10) حتّى متَى أنْتَ في لَهوٍ وفي لَعِبٍ؟ والموْتُ نَحْوكَ يهْوِي فاتِحًا فاهُ

---

(1) الناس من قديم الزمان مولعون بحب الدنيا والبقاء فيها، ولكن لم يتمتع أحد بهذا البقاء لأنها لا تدوم لأحد.

(2) التراث : الإرث، يقول: إذا استوليت على معالي الأمور فما أبالي أن أكون بلغتها عن إرث أو كسب، وقد كان الوجه أن يقول: أتراثا كان لأن الهمزة لا يليها إلا المسئول عنه كما تقدم لك ولكنه لما ذكر المعادل تعين المسئول عنه.

(3) الظبا : جمع ظبة وهي حد السيف، أي أن العدو لا يشتفي منه إلا بالقتل.

(4) عفره : مرغه في التراب، والليث: الأسد، والهزبر: الشديد، والصارم: السيف القاطع؛ يقول: إذا كنت تصرع الأسد بالسوط وهو أشد حيوان بأسا، فلمن أعددت سيفك؟.

(5) العرس: طعام الوليمة، والسلاف: الخمر.

(6) تعنى بصيغة المجهول أي تعتني، والجد: الحظ، يقول: مالك تعتني بادخار الأسلحة وحظك يطعن أعداءك فيقتلهم بغير سنان.

(11) و قال أبو الطيب:

يَفنى الكَلامُ ولا يُحيطُ بفَضْلِكُمْ ... أيُحيطُ ما يَفْنى بمَا لا يَنْفَدُ؟!

(12) وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: 255].

(13) وقال أبو الطيب:

أيَــدْري الـرَّبْـعُ أيَّ دَمٍ أراقَــا؟ ... وَأيَّ قُلُوبِ هذا الرَّكْب شَاقَا؟ (1)

(14) وقال المتنبي في سيف الدولة يعُودُه من دُمّل كان فيه:

وَكَـيـفَ تُعِلُّكَ الدّنْيا بشَيْءٍ ... وَأنْــتَ لِـعِـلّـةِ الـدّنْـيَـا طَبيبُ؟

وَكَيفَ تَنُوبُكَ الشّكْوَى بداءٍ ... وَأنْــتَ المُسْتَغاثُ لِمَا يَنُوبُ ؟

(15) وقال أبو العلاء المعري:

أتظنُّ أنّــكَ للمَحاسن كاسبٌ ... وخَبيُّ أمــرِكَ شِــرّةٌ وشَــنــار؟(2)

(6)

(1) استعمل كل أداة من أدوات الاستفهام في جملتين مفيدتين وأجب عن كل سؤال تأتي به، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقي.

(2) استعمل همزة الاستفهام في ست جمل بحيث تكون في الثلاث الأولى منها لطلب التصور، وفي الثلاث الأخيرة لطلب التصديق، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقي.

(3) كوِّن ثلاث جمل استفهامية تامة، أداة الاستفهام في كل منها «هل»، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقي.

(4) هات ثلاث جمل أداة الاستفهام في كل منها (أنَّى) واستوف المعاني التي عرفتها لهذه الأداة، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقي.

(7)

(1) كون ثلاث جمل استفهامية بحيث يدل الاستفهام في الأولى على التسوية، وفي الثانية على النفي، وفي الثالثة على الإنكار.

(1) الربع: الدار، وأراق: سفك، والركب: جماعة الركبان. يذكر مروره بربع الأحبة ويقول: أيدري هذا الربع ما فعل من إراقة دمي، وما هيج في قلبي من الشوق بذكر الأحبة.

(2) الشرة بالكسر: الشر والحدة والحرص، والشنار بالفتح: أقبح العيب.

(2) هات ثلاث جمل استفهامية: يدل الاستفهام في الأولى منها على التعظيم، وفي الثانية على التحقير، وفي الثالثة على التوبيخ.

(3) مثِّل للاستفهام الخارج عن معناه الأصلي للتعجب، ثم للتمني، ثم للاستبطاء.

(8)

اشرح البيتين الآتيين وبين أغراض الاستفهام فيهما، وهما يُنسبان لأعرابي يمدح الفضلَ بن يحيى البَرْمكي :

ولَائِمَة لَامَتْكَ يَا فَيْضُ في النَّدَى ... فَقُلْتَ لَها هَلْ أَثَّرَ اللَّوْمُ في البَحْرِ؟

أَتَنْهَيْن فضلًا عن عطاياهُ للورى؟ ... ومن ذا الذي ينْهي الغمامَ عن القَطْرِ؟

(4) التمنِّي

(1) قال ابن الروميّ في شهر رمضان :

فليتَ الليلَ فيه كانَ شهرًا ... ومرَّ نهارُه مَرَّ السحابِ

(2) وقال تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعراف: 53].

(3) وقال جرير :

وَلَّى الشَّبابُ حَمِيدَةً أَيَّامُهُ ... لو كان ذلكَ يُشْتَرَى أَو يَرْجِعُ

(4) و قال آخر :

أَسِرْبَ القَطا هلْ مَنْ يُعيرُ جَناحَهُ ... لعلِّي إلى من قَد هَويتُ أَطِيرُ [1]

(5) وقال تعالى: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ [القصص: 79].

البحث

الأمثلة المتقدمة جميعها من باب الإنشاء الطلبي. وإذا تأملت المطلوب في كل مثال وجدته أمرًا محبوبًا لا يرجى حصوله، إمَا لكونه مستحيلًا كما في الأمثلة الأربعة الأولى، وإما لكونه ممكنًا غير مطموع في نيله كمَا في المثال الأخير، ويسمَّى هذا الضرب من الإنشاء بالتمني. و الأدوات التي أفادت التمني في الأمثلة المتقدمة هي: ليت، وهل، ولو، ولَعل. غير أن الأداة الأولى أفادته بأصل الوضع، أما الثلاث الأخرى فإنها استُعْملت فيه للطائف بلاغية. هذا وإذا كان المطلوب المحبوب ممكنًا مطموعًا في حصوله كان طَلبه ترجياً، ويعبر فيه بلعلَّ وعسى، و قد تستعمل فيه ليت لسبب يقصده البليغ كما في قول أبي الطيب :

(1) السرب: الجماعة، و القطا : نوع من الطير يشبه الحمام، وهويت: أحببت.

فَيا لَيتَ ما بَيْني وبَينَ أحِبَّتي مِنَ البُعْدِ ما بَيني وبَينَ المَصائِبِ

القواعد

(49) التمني طَلَبُ أمرٍ مَحْبُوبٍ لا يُرجَى حُصُولُه، إمَّا لِكَونِهِ مُسْتَحِيلاً، وإمَّا لكونه مُمكِنًا غَيرَ مطموع في نَيْلِهِ.

(50) واللفظُ الْمَوْضُوعُ للتمني لَيتَ، وقد يُتَمَّنى بهَل وَلو، وَلَعلَّ، لِغَرَض بلاغيٍّ [1].

(51) إذا كان الأمرُ المحبوبُ مما يُرجَى حُصُولُهُ كانَ طَلَبُهُ تَرَجِّياً، ويُعَبرُ فيه بلعلَّ أَوْ عَسَى، وقد تستعمل فيه لَيتَ لغَرَض بلاغي [2].

نموذج

لبيان ما في الأمثلة الآتية من تمنٍّ أو ترجٍّ، و تعيين الأداة في كل مثال،

(1) قال صريع الغواني:

واهًا لأيامِ الصِّبا وزمانِهِ لَوْ كانَ أسْعفَ بالمُقام قليلا[3]

(2) و قال أبو الطيب :

فَلَيْتَ هوَى الأحبَّةِ كانَ عَدلا فَحَمَّلَ كُلَّ قَلبٍ ما أطَاقَا

(3) قال تعالى: ﴿ فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [غافر: 11].

الإجابة

الرقم	المعنى المراد	الأداة	البيان
1	التمني	لو	لأن المطلوب هنا ممكن غير مطموع في حصوله.
2	الترجي	ليت	لأن المطلوب هنا ممكن مطموع في حصوله.
3	التمني	هل	لأن المطلوب هنا ممكن غير مطموع في حصوله.

(1) الغرض في هل ولعل، هو إبراز التمني في صورة الممكن القريب الحصول؛ لكمال العناية به والشوق إليه، والغرض في لو الإشعار بعزة المتمني وندرته؛ لأن المتكلم يبرزه في صورة الممنوع، إذ أن لو تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

(2) الغرض هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بعد نيله.

(3) واها : كلمة تعجب تقولها إذا تعجبت من طيب الشيء ، فمعنى واها لأيام الصبا ما أطيبها !

تمرينات

(1)

بيّن ما في الأمثلة الآتية من تمنٍ أو ترجٍ، وبيّن السرّ في استعمال ما جاء من الأدوات على غير وضعه الأصلي:

(1) قال مروانُ بن أبي حفصة في رثاء معْن بن زائدة :

فليتَ الشامتين بهِ فَدوْهُ ... ولَيتَ العُمْرَ مُدَّ لَهُ فطَالا [1]

(2) و قال أبو الطيب في رثاء أخت سيف الدولة :

فَلَيْتَ طالِعَةَ الشَّمْسَيْنِ غَائِبَةٌ ... وَلَيتَ غائِبَةَ الشَّمْسَينِ لم تَغِبِ [2]

(3) وقال آخر:

عَلَّ اللَيالي الَّتي أَضنَت بِفُرقَتِنا ... جِسْمي سَتَجمَعُنِي يَومًا وَتَجمَعُهُ [3]

(4) وقال الله تعالى: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [غافر: 36-37].

(5) وقال تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 102] [4]

(6) وقال الشاعر :

أيا مَنْزِلَيْ سَلْمَي سلامٌ عليْكما ... هلِ الأزْمُنُ اللَّائي مضَيْن رواجعُ

(7) وقال :

لَيتَ المُلُوكَ على الأقدارِ مُعْطِيَةٌ ... فلَمْ يكُنْ لدَنيءٍ عندَهَا طَمَعُ [5]

(8) وقال في المديح :

لَيْتَ المَدائحَ تَسْتَوْفي مَنَاقِبَهُ ... فَما كُلَيْبٌ وَأَهْلُ الأعصُرِ الأُوَلِ ؟

(2)

(1) هات مثالين لكل أداة تفيد التمني.

(2) هات مثالين للترجي، واستعمل في الأول لعل و في الثاني عسى.

---

(1) الشامتين به: الفرحين بموته، وفدوه: جعلوا فداء له.

(2) جعل المرثية و شمس النهار شمسين، يقول: ليت الطالعة من هاتين الشمسين و هي شمس النهار غائبة و ليت الغائبة منهما و هي المرثية لم تغب . يريد أنها كانت أعم نفعًا من الشمس فليتها بقيت و فقدنا الشمس.

(3) أضنت جسمي: أمرضته. (4) كرة: أي رجوعا إلى الدنيا.

(5) أي ليتهم يعطون الشعراء على قدر فضلهم و نبل أنفسهم فلا يطمع في عطائهم خسيس.

(3) هات مثالين للترجّي، واستعمل في كل منهما (ليت) و بين السبب البلاغي في اختيار هذه الأداة.

(3)

انثُر البيتين الآتيين نثرًا وهما للمتنبي في مدح كافور :

لحَى الله ذي الدّنْيا مُناخًا لراكب ... فكُلُّ بَعيدِ الهَمّ فيهَا مُعَذَّبُ (1)

ألا لَيْتَ شعري هَلْ أقولُ قَصيدَةً ... فَلا أشْتكي فيها وَلا أتَعَتّبُ (2)

(5) النّداءُ

الأمثلة

(1) كتبَ أبو الطيب إلى الوالي وهو في الاعتقال :

أمَـالِـكَ رِقّـي ومَـنْ شَـأنُـهُ ... هِباتُ اللُّجَيْنِ وعِتْقُ العَبيدِ (3)

دَعَـوْتُـكَ عِندَ انْـقِـطـاعِ الرّجَا ... ءِ والمَوْتُ مني كحَبل الوَريدِ (4)

(2) وقال أبو نُواس :

يا رَبِّ إنْ عَظُمَتْ ذنوبي كثْرَةً ... فَلَقَدْ عَلِمْتُ بأنَّ عَفْوَكَ أعظمُ

(3) وقال الفرزدق يفتخر بآبائه و يهجو جريرًا :

أُولَـئِـكَ آبَائي فَجِئْني بِمِثْلِهِم ... إذا جَمَعَتْنا يا جَرِيرُ المَجَامِعُ

(4) وقال آخر :

أَيـا جـامِـعَ الدنيا لِغَير بَلاغَةٍ ... لِمنْ تَجْمَعُ الدُّنْيا وأنت تَمُوتُ؟

البحث

إذا أَردنا إقبال أَحد علينا دعوْناه بذكر اسمه أو صفة من صفاته بعد حرف نائب مناب أدعو، ويسمَّى هذا بالنداء.

(1) لحى الله ذي الدنيا: أي قبحها و لعنها، والمناخ: المنزل وهو تمييز، يذم الدنيا ويقول: إنها دار شقاء و إن كل عظيم الهمة فيها معذب.
(2) ليت شعري: أي ليتني أعلم.
(3) الرق: العبودية، والهبات: العطايا، واللجين: الفضة، والعتق التحرير.
(4) حبل الوريد: عرق في العنق يضرب مثلا في شدة القرب.

وأدوات النداء هي: الهمزة، و أي، ويا، وآ، وآي، وأيا، وهيا، ووا.

والأصل في نداء القريب أن ينادى بالهمزة أو أي. و في نداء البعيد أن ينادَى بغيرهما من بقية الأدوات، غير أن هناك أسبابًا بلاغية تدعو إلى مخالفة هذا الأصل، و سنشرح لك هذه الأسباب فيما يأتي: تأمل المثال الأول تجد المنادى فيه بعيداً، ولكن أبا الطيب ناداه بالهمزة الموضوعة للقريب، فما السبب البلاغي هنا؟ السبب أن أبا الطيب أراد أن يبين أن المنادَى على الرغم من بعده في المكان، قريب من قلبه مستحضر في ذهنه، لا يغيب عن باله، فكأنه حاضر معه في مكان واحد. وهذه لطيفة بلاغيَّة تسوغ استعمال الهمزة وأي في نداء البعيد.

انظر إلى الأمثلة الثلاثة الباقية تجد المنادى في كل منها قريبا، ولكن المتكلم استعْمل فيها أحرف النداء الموضوعة للبعيد فما سبب هذا؟

السبب أن المنادى في المثال الثاني جليل القدر خطير الشأن فكأنَّ بُعد درجته في العظم بعدٌ في المسافة، ولذلك اختار المتكلم في ندائه الحرف الموضوع لنداء البعيد ليشير إلى هذا الشأن الرفيع. وأما في المثال الثالث فلأنَّ المخاطب في اعتقاد المتكلم وضيع الشأن، صغير القدر، فكأنَّ بُعد درجته في الانحطاط بعدٌ في المسافة. وأما في المثال الأخير فلأن المخاطب لغفلته وذهوله كأنه غير حاضر مع المتكلم في مكان واحد. و قد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي وهو طلب الإقبال إلى معان أخرى تستفادُ من القرائن، و من هذه المعاني ما يأتي:

(1) الزجر كقوله:

يا قلب ويْحك ما سمعتَ لناصِحٍ ... لَمَّا ارْتَميْتَ ولا اتَّقَيْتَ ملامًا

(2) التحسر و التوجع نحو قوله:

أيا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْف وارَيْتَ جُودَهُ ... وقَدْ كانَ مِنْه البَرُّ والبَحْرُ مُتْرعَا

(3) الإغراء كقولك لمنْ أقبل يتظلم: يا مظلومُ تكلم.

القواعد:

(52) النِّداءُ طَلَبُ الإقْبَال بحَرْف نَائب مَنَابَ أدْعُو.

(53) أدوات النِّدَاءَ ثمان: الْهَمْزَةُ، و«أي»، و«يَا»، و«آ»، و«آي» و«أَيا»، و«هيَا»، و«وا».

(54) الهمزةُ وأيْ لنِدَاء الْقَريب، وغَيْرُهُمَا لنِدَاء البَعيد.

(55) قَدْ يُنَزَّلَ الْبَعيدُ مَنزلَةَ الْقَريب فَيُنَادَى بالْهَمْزَة وأيْ، إشَارَةً إلَى قُرْبه منَ القَلبب وحُضُوره في الذِّهْن. وقَدْ يُنزَّل الْقَريبُ مَنْزلَةَ الْبَعيد فَيُنَادي بغَير الْهمْزَة وأيْ، إشَارةً إلَى عُلُوّ مَرْتَبَته، أو انْحطَاط مَنْزلَته، أوْ غَفْلته وشُرود ذهْنه.

(56) يَخْرُجُ النِّداءُ عَنْ مَعْنَاهُ الأَصْليّ إلَى مَعَانٍ أُخْرَى تُسْتفَادُ منَ القَرائن، كالزَّجْر والتَّحَسُّر والإغْرَاء.

نمـوذج

لبيان أدوات النداء في الأمثلة الآتية، وما جرى منها على أصل وضعه في نداء القريب أو البعيد، وما خرج عن ذلك مع بيان السبب:

(1) أَبُنَـيَّ إنَّ أَبَـاكَ كَـارِبُ يَومِهِ ... فإذا دُعِيتَ إلى المَكارِمِ فاعْجَلِ [1]

(2) يا مَـنْ يرجَّى للشدائد كلُّها ... يا مَنْ إليه المُشتكَى و المفْزَعُ

(3) وقال أبو العتاهية:

أيا مَـنْ عـاشَ في الدُّنيا طويلًا ... و أَفْنَـى العُمْرَ في قيلٍ وقـالِ

وأتـعـبَ نفسَه فيما سيفْنَى ... وجَـمَّـعَ مَـنْ حـرامٍ أو حـلالِ

هَـبِ الدنيا تُـقـادُ إليـكَ عفْوًا ... أليـسَ مصيرُ ذلـك لـلـزوالِ؟

(4) وقال سوار بن المُضَرَّب [2]:

يأيها القلبُ هلْ تنهاكَ موعظةٌ ... أو يُحدِثَنْ لك طولُ الدهرِ نسْيانا

(5) وكتب والدٌ لولده ينصحه:

أَحُسَيْنُ إنِّـيَ واعِـظٌ وَمُـؤَدِّبٌ ... فَافْهَمْ فَأَنْتَ العَاقِلُ المُتَأَدِّبُ

الإجـابـة

(1) الأداة «الهمزة» و قد استعملت في نداء القريب جريًا على الأصل.

(2) الأداة «يا» وقد استعملت في نداء القريب على خلاف الأصل، إشارة إلى علو مرتبة المنادى وارتفاع شأنه.

(3) الأداة «أيا» وقد استعملت في نداء القريب على خلاف الأصل، إشارة إلى غفلة المخاطب.

(4) الأداة «يا» وقد استعملت في نداء القريب على خلاف الأصل، إشارة إلى أنَّ المنادى غافل لاهٍ فكأنه غير قريب.

(5) الأداة «الهمزة» وقد نُودِيَ بها البعيد على خلاف الأصل، إشارة إلى أن المنادَى حاضر في الذهن لا يغيب عن البال فكأنه حاضرُ الجثمان.

(1) كارب يومه: أي مقارب يومه الذي يموت فيه.

(2) شاعر إسلامي كان مع قطري بن الفجاءة، وهو من بني سعد تميم.

تمرينات

(1)

بيِّن أدوات النداء في الأمثلة الآتية، وما جرى منها على أصل وضعه في نداء القريب أو البعيد، وما خرج منها عن ذلك مع بيان الأسباب البلاغية في الخروج:

(1) قال أبو الطيب:

يا صائدَ الجَحْفَلِ المَرْهوبِ جانِبُهُ ... إنّ اللّيوثَ تَصيدُ النّاسَ أُحْدانَا [1]

(2) أيا رَبَّ قَدْ أَحْسنتَ عودًا و بدْأةً ... إليَّ فلم ينْهَضْ بإحْسانكَ الشكْر

(3) أَسُكَّانَ نَعْمَان الأَرَاكِ تَيَقَّنُوا ... بأَنَّكمْ في ربـع قلبيَ سكَّانُ [2]

(4) وقال تعالى يحكي قول فرعون لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: 101].

(5) وقال أبو العتاهية:

أيـا مـنْ يُـؤَمِّـل طـولَ الحياةِ ... و طـولُ الـحـيـاةِ عليه خَـطَـرْ

إذا مـا كـبِـرْتَ وبـانَ الشَّبابُ ... فلا خيرَ في العيش بعدَ الكِبَرْ

(6) و قال أبو الطيب في مدح كافور من قصيدة أنشده إياها:

يا رَجـاءَ العُيُونِ في كلّ أرْضٍ ... لم يكُنْ غيرَ أنْ أرَاكَ رَجَائي

(7) أي بُنَيَّ، أعدْ عليَّ ما سمعتَ منِّي.

(8) أمحمدُ، لا ترفعْ صوتكَ حتى لا يسمعَ حديثنا أحدٌ.

(9) أيا هذا، تنبهْ فالمكارهُ مُحْدِقَةٌ بك.

(10) يا هذا لا تتكلمْ حتى يُؤْذَنَ لكَ.

(2)

نادِ منْ يأتي، مستعملًا أدوات النداء استعمالًا جاريًا على خلاف الأصل من حيث قربُ المنادَى وبُعْدُه، وبيِّن العللَ البلاغيةَ في هذا الاستعمال:

(1) الجحفل: الجيش الكبير، والليوث: الأسود، وأحدانا: جمع واحد وأصله وحدانا، يقول: أنت أشد بطشا من الأسد، لأن الأسد يصيد الناس واحدا واحدا وأنت تصيد الجيش برمته.

(2) نعمان الأراك: موضع في بلاد العرب، والربع: المنزل.

(1) غائبًا تحنُّ إلى لقائه. (2) سفيهًا تنهاهُ عن التعرض للكرام.

(3) منصرفًا عنْ عمله تدعوه إلى الجدِّ. (4) عظيمًا تخاطبهُ و ترجوهُ أن يساعدكَ.

(3)

ماذا يرادُ بالنداء في الأمثلة الآتية:

(1) أعَـدَّاءُ ما للعيشِ بعدك لذةٌ ولا لخليلٍ بهجةٌ بخليلِ[1]

(2) يا شجاعُ أقْدِمْ (تقوله لمن يتردد في منازلة العدو).

(3) دَعـوتُـك يا بُنيَّ فلم تُجبْني فَـرُدّت دَعْـوتـي يـأسًـا عليَّ

(4) بـالـلـه قُـلْ لـي يـا فُـلا نُ وَلـي أقـولُ وَلـي أُسـائِـلْ

أتُـريـد فـي الـسّـبـعـيـنَ ما قـد كنتَ فـي العشرينَ فاعلْ

(5) يا دارَ عاتكةَ حُيِّيتِ مـنْ دار سيَّرْتُ فيكِ و فيمنْ فيكِ أشعاري

(4)

(1) هات مثالين للهمزة المستعملة في نداء البعيد. وبين السبب في خروجها عن أصل وضعها في كل من هذين المثالين.

(2) هات مثالين للمنادى القريب المنزّل منزلة البعيد لعلو مكانته.

(3) هات مثالين للمنادى القريب المنزّل منزلة البعيد لانحطاط منزلته.

(4) هات مثالين للمنادى القريب المنزّل منزلة البعيد لغفلته و شرود ذهنه.

(5) مثل للنداء المستعمل في التحسر والزجر والإغراء.

(5)

انثر البيتين الآتيين نثرا فصيحًا وهما لأبي الطيب، وبيّنْ الغرضَ من النداء:

يا أعـدَلَ النّاسِ إلاّ في مُعامَلَتي فيكَ الخِصامُ وَأنتَ الخَصْمُ وَالحكَمُ

أُعيذُها نَـظَـراتٍ مِنْكَ صادِقَةً أن تحْسَبَ الشّحمَ فيمن شحمهُ وَرَمُ

(1) الهمزة للنداء، وعداء منادى، والبهجة: السرور، يقول: يا عداء، ذهبت بعدك لذة العيش و لم يبق لخليل بخليله سرور.

القصرُ

تعريفه - طرقه - طرَفاه

الأمثلة

(1) لا يفوز إلا المجدُّ.
(2) إنما الحياةُ تعبٌ .
(3) الأرضُ متحرِّكةٌ لا ثابتة.
(4) ما الأرض ثابتةٌ بلْ متحركةٌ.
(5) ما الأرضُ ثابتةٌ لكن متحركةٌ.
(6) على الرجالِ العاملين نُثْني.

البحث

إذا تأملت الأمثلة السابقة رأيت أنَّ كل مثال منها يتضمن تخصيص أمر بآخر، فالمثال الأول يفيد تخصيص الفوز بالمجد، بمعنى أن الفوز خاص بالمجد لا يتعداه إلى سواه. والمثال الثاني يفيد تخصيص الحياة بالتعب، بمعنى أن الحياة وقفٌ على التعب لا تفارقه إلى الراحة. وهكذا يقال في بقية الأمثلة. وإذا أردت أن تعرف منشأ هذا التخصيص في الكلام، كفاك أن تبحث في الأمثلة قليلاً. خذ المثال الأول مثلا واحذف منه أداتي النفي والاستثناء، تجد أن التخصيص قد زال منه وكأنه لم يكن، إذًا النفي والاستثناء هما وسيلة التخصيص فيه، وبمثل هذه الطريقة تستطيع أن تدرك أن وسائل التخصص في الأمثلة الباقية هي: إنما، والعطف بلا، أو بل، أو لكن، وتقديم ما حقه التأخير. ويسمي علماء المعاني التخصيص المستفاد من هذه الوسائل **بالقصر**، ويسمُّون الوسائل نفسها **طرق القصر**. ارجع إلى الأمثلة مرة أخرى وابحث فيها واحدا واحدًا : تجد المتكلم في المثال الأول يقصر الفوز على المجد، فالفوز مقصور، والمجد مقصور عليه، وهما **طرفا القصر**. و لما كان الفوز صفة من الصفات والمجدُّ هو الموصوف بهذه الصفة، كان القصر في هذا المثال **قصر صفة على موصوف**، بمعنى أن الصفة لا تتعدى الموصوف إلى موصوف آخر. وتراه في المثال الثاني يقصر الحياة على التعب. فالحياة مقصورة والتعب مقصور عليه، ولما كانت الحياة موصوفة والتعب صفة لها كان القصر في هذا المثال **قصر موصوف على صفة**، بمعنى أن الموصوف لا يفارق صفة التعب إلى صفة الراحة ،ولو أنك تدبرت جميع أمثلة القصر ما ذكر منها هنا و ما لم يذكر، لوجدت كل مثال يشتمل على مقصور و مقصور عليه، ووجدت القصر لا يخلو عن حال من الحالين السابقين. فهو إما قصر صفة على موصوف، وإما قصر موصوف على صفة. وإذا أردت أن تعرف ضوابط تسهِّل عليك معرفة كلٍّ من المقصور والمقصور عليه في كل ما يرد عليك، فانظر إلى القواعد الآتية تجد ذلك مفصَّلاً.

القواعد

(57) القصرُ تخصيصُ أمرٍ بآخرَ بطريقٍ مخصوصٍ.

(58) طرقُ القصرِ المشهورةِ أربعٌ [1]:

(أ) النَّفْيُ والاسْتِثْناء، وهُنَا يَكُونُ الْمَقْصُور عَلَيْهِ مَا بَعْدَ أدَاةِ الاسْتِثْنَاء.

(ب) إنّما، ويَكُونُ الْمقْصُورُ عَلَيْهِ مُؤخَّرًا وُجُوبًا.

(جـ) الْعَطْفُ بلا، أَوْ بَلْ، أوْ لَكِنْ، فإنْ كان العطفُ بلا كان المقصورُ عليه مقابلًا لما بعدها، وإن كان العطف ببلْ أوْ لكنْ كان الْمقصورُ عَلَيْه ما بَعْدهُما.

(د) تقْديمُ مَا حقُّهُ التَّأْخيرُ. وهُنا يَكُونُ الْمَقْصُورُ عليْهِ هُوَ الْمُقدَّمَ.

(59) لكلِّ قصرٍ طرفانِ: مقصورٌ،و مقصورٌ عليه.

(60) ينقسِمُ القصْرُ باعْتبار طَرَفيهِ قسْميْن:

(أ) قصرُ صفةٍ على موصوفٍ. (ب) قصرُ موصوفٍ على صفةٍ.

تقسيم القصر إلى حقيقي وإضافي

الأمثلة

(1) لا يُروى مِصْرَ منَ الأَنْهَارِ إلَّا النِّيلُ. (2) إنَّما الرَّازق اللهُ.

(3) لَا جَوَادَ إلَّا عَليّ. (4) إنَّما حَسَنٌ شُجَاع.

البحث

قدَّمنا لك أن القصر ينقسم بحسب طَرَفيه إلى قصر صفة على موصوف، وقصر موصوف على صفة، وهنا نريد أن نبين لك أنه ينقسم تقسيمًا آخر باعتبار الحقيقة والواقع. تأمل المثالين الأولين تجد القصر فيهما من باب قصر الصفة على الموصوف، وإذا تدبرت الصفة في كل من المثالين وجدت أنها لا تفارق موصوفها إلى موصوف آخر مطلقًا، فإرواءُ الأرض المصرية في المثال الأول صفة لا تتجاوز النيل إلى غيره من سائر أنهار الدنيا، والرزقُ في المثال الثاني صفة لا تتعدى المولى عز وجل إلى سواه، ويُسمَّى القصر في هذين المثالين **قصرًا حقيقيًّا**، وكذلك كل قصر يختص فيه المقصورُ بالمقصور عليه اختصاصًا منظورًا فيه

(1) هناك طرق للقصر غير هذه الأربع، منها ضمير الفصل نحو: علي هو شجاع ، و منها التصريح بلفظ وحده أو ليس غير نحو : أكرمت محمدا وحده ، و لكنها لا تعد من طرقه الاصطلاحية.

إلى الحقيقة والواقع بألا يتعداه إلى غيره أصلًا. انظر إلى المثالين الأخيرين تجد القصر في أولهما من باب قصر الصفة على الموصوف وفي ثانيهما من باب قصر الموصوف على الصفة، وإذا تدبرت المقصور في كل منهما وجدته مختصًّا بالمقصور عليه بالإضافة (أي بالنسبة) إلى شيء معين، لا إلى جميع ما عداه، فإن المتكلم في المثال الأول يقْصد أن يقصر صفة الجود على عليٍّ بالنسبة إلى شخص آخر معين كخالد مثلًا، وليس من قصده أن هذه الصفة لا توجد في غير عليٍّ من جميع أفراد الإنسان، فإن الواقع خلاف ذلك. وكذلك الحال في المثال الثاني، ولذلك يُسمى القصر في المثالين **قصرًا إضافيًا**، وكذلك كل قصر يكون التخصيص فيه بالإضافة إلى شيءٍ آخر.

القاعدة

(62) يَنْقَسِمُ القَصْرُ باعْتِبار الْحَقيقة والْواقع قِسْمَيْن:

(أ) حَقيقيّ[1] وهُوَ أَنْ يَخْتَصَّ الْمَقْصُورُ بالْمَقْصُور عَلَيْهِ بحَسَبِ الْحقيقة والْواقع بألَّا يَتَعَدَّاهُ إلى غَيْرِهِ أَصْلًا.

(ب) إضَافيّ[2] وهُوَ مَا كَانَ الاخْتِصَاصُ فِيهِ بحَسَبِ الإضافة إلى شَيْءٍ مُعَيَّنٍ[3].

نموذج (1)

بيِّن فيما يأتي نوع القصر وعيِّن كلًّا من المقصور والمقصور عليه:

(1) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: 28].

(2) قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ﴾ [آل عمران: 144].

(3) قال لَبيد:

وما المرْءُ إلَّا كالهِلالِ وضَوْئِهِ ... يُوافي تمامَ الشهر ثم يَغِيبُ

(4) وقال ابن الرُّومي في المدح:

(1) القصر الحقيقي يكثر في قصر الصفة على الموصوف كما رأيت في الأمثلة، ولا يكاد يوجد في قصر الموصوف على الصفة.

(2) القصر الإضافي يأتي كثيرًا في كل من قصر الصفة على الموصوف وقصر الموصوف على الصفة كما رأيت في الأمثلة، وهو ميدان فسيح لتنافس الكتاب والشعراء.

(3) ينقسم القصر الإضافي باعتبار حال المخاطب ثلاثة أقسام، وذلك أنك إذا قلت الشجاع على لا حسن مثلًا، فإن كان المخاطب يعتقد اشتراك على وحسن في الشجاعة كان القصر (قصر إفراد)، وإن كان يعتقد عكس ما تقول كان القصر (قصر قلب)، وإن كان مترددًا لا يدري أيهما الشجاع كان القصر (قصر تعيين).

أَمْوَالُهُ في رقاب الناس مِنْ مِنَنٍ ... لَا في الخَزائنِ مِنْ عينٍ ومن نَشبِ[1]

(5) وقال:

وما عجبنا وإنْ أَصْبحْتَ تُعْجِبُنَا ... أَنْ نَجْتَنِي ذَهبًا مِنْ موْضِعِ الذَّهب

لكن عَجِبنا لِـعُـرْفٍ لا نكافئُهُ ... ونَسْتَزِيدُك مِنْهُ أَكْثَرَ العجبِ

(6) وقال الغَطَمَّشُ الضَّبِيُّ[2]:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنَّني ... أرى الأرضَ تَبْقَى والأَخِلَّاءَ تذْهب

الإجابة

الرقم	نوع القصر باعتبار طرفيه	نوع باعتبار الواقع	طريق القصر	المقصور	المقصور عليه
1	صفة على موصوف	حقيقي	إنما	يخشى الله	العلماء
2	موصوف على صفة	إضافي	النفي والاستثناء	محمد	رسول
3	موصوف على صفة	إضافي	النفي والاستثناء	المرء	كونه كالهلال
4	موصوف على صفة	إضافي	العطف بلا	أمواله	كونها في رقاب الناس
5	صفة على موصوف	إضافي	العطف بلكن	عجبنا	لعرف لا نكافئه
6	صفة على موصوف	إضافي	تقديم الجار والمجرور	أشكو	لفظ الجلالة

نموذج (2)

عيِّن المقصور عليه في الجملتين الآتيتين، وبيِّن الفرقَ بينهما في المعنى:

(أ) إنما يُدافعُ عنْ أحسابِكُمْ عليٌّ.

(ب) إنما عليٌّ يدافع عن أحسابكم.

(1) العين: الذهب والفضة، والنشب: المال، يقول: إنه ينفق أمواله في المنن التي يقلد بها أعناق الرجال ولا يخزنها في خزائنه.

(2) شاعر جاهلي من شعراء الحماسة، والغطمش: الجائر الظالم.

الإجابة

(أ) المقصور عليه في الجملة الأُولى عليّ[1] فالمتكلم يقول لمخاطبيه: عليٌّ وحده يستقل بالدفاع عن أحسابكم ولا يشترك معه في ذلك أحد. ومن الجائز أن تكون لعلي أعمال أخرى يخدمُهم بها غير هذه المدافعة، كمعالجة مرضاهم ومواساة فقرائهم.

(ب) أما في الجملة الثانية فالمقصور عليه المدافعة، فعلى لا يقوم بسواها من الأعمال، على أنه من الجائز أن يشترك معه في الدفاع سواه. فأنت ترى أن الجملة الأولى أبلغ في مدح على من وجهين: أما أولًا فلأنها تفيد أنه مستقل بالدفاع لا شريك له فيه، وأما ثانيًا فلأنها لا تنفي أن له أعمالًا أخرى غير المدافعة.

تمرينات

(1)

بَيِّن نوع القصر، وطريقه، وعيِّن كلًّا من المقصور والمقصور عليه فيما يأتي:

(1) قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد:40].

(2) وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5].

(3) وقال ابن الرومي يمدح:

مغْرُوفهُ في جميع النَّاس مُقْتَسَمٌ ... فحمْدُهُفي جميعِ النَّاس لَا الْعُصَب[2]

(4) وقال:

يتغابىَ لـهُـمْ ولَـيْـس لِـمُـوق ... بلْ لِلُبٍّ يفُوقُ لُـبَّ اللَّبيبِ[3]

(5) وقال:

يهْتَزّ عِطْفَاهُ عِنْدَ الحمْدِ يَسْمَعُه ... منْ هِزّةِ الْمجْدِلَا مِنْ هِزَّةِ الطَّرب[4]

(6) وقال:

وما قُلْتُ إلَّا الحقَّ فيكَ ولَمْ تَزلْ ... علَى مَنْهَجٍ مِنْ سُنَّةِ الْمجْدِ لاحِب[5]

(7) وقال ابن المعتز:

(1) وذلك لأنك قد علمت أن المقصور عليه مع إنما يكون مؤخرًا وجوبًا.
(2) يقول: إن معروفه عام لجميع الناس لا خاص بطوائف بعينها.
(3) يتغابى: يظهر الغباوة، والموق: الحمق في غباوة، واللب: العقل.
(4) عطفاه: جانباه، يعني يميل يمنة ويسرة. (5) المنهج: الطريق الواضح، واللاحب: الطريق الواضح أيضًا.

ألا إنَّما الدُّنيا بلاغ لِغاية ... فإمَّا إلى غَيٍّ وإمَّا إلى رُشد

(8) وقال:

وما العيْشُ إلَّا مدَّةٌ سوْف تَنقضي ... وما المالُ إلا هالكٌ وابْنُ هالِكِ

(9) وقال أبو الطيب:

برجاءِ جُودِك يُطردُ الْفَقْرُ ... وبأنْ تُعادَي يَنْفَدُ العُمْرُ

(10) وقال:

لَيْسَ التَّعجُّبُ مِنْ مواهِب ماله ... بل مِن سلامتها إلى أوْقَاتها[1]

(11) وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: 88].

(12) إلى الله أشكو أنَّ في النفْسِ حاجةً ... تمرُّ بها الأيامُ وهْي كما هِيا

(13) وقال أبو الطيب:

وإنما نحْنُ في جيل سواسية ... شُرٌّ على الْحُرِّ مِنْ سُقْم على بَدَنِ[2]

(14) راحلٌ أنت والليالي نزولُ ... ومضرٌّ بك البقاءُ الطويل

(15) وقال ابن الرومي:

وما يُريغُونَ بالنُّعْمَى مُكافَأَةً ... لَكِنْ يُقَضُّونَ ما للمجْدِ مِنْ أرَب[3]

(16) وقال أبو العتاهية يمدحُ يزيدَ بن مزيد الشَّيْباني[4]:

كأنكَ عِنْد الْكَرِّ والحرْب إنَّما ... تَفر مِن الصفِّ الذي من ورائكا

فما آفةُ الأبطال غَيْرَك في الْوغَى ... وما آفَةُ الأمْوالِ غَيْر حِبائكا

(17) وقال أبو تمام:

على مثلها من أربُعٍ وملاعبِ ... تُذَالُ مَصُوناتُ الدموع السواكب[5]

(1) يقول لا نتعجب من كثرة هباته، وإنما نتعجب كيف بقيت أمواله وسلمت من التفريق إلى أوقات بذلها إذ ليس من عاداته أن يمسك شيئًا.

(2) الجيل: الصنف من الناس، وسواسية بمعنى متساوين وهو خاص بالذم أي متساوين في اللؤم والخسة، وشر: اسم تفضيل بمعنى أشر.

(3) يقول: لا يطلبون جزاء على نعمهم ولكنهم يقضون واجب المجد.

(4) قائد شجاع. كان واليًا بأرمينية، وندبه هرون الرشيد لقتال الوليد بن طريف عظيم الخوارج في عهده فقتله يزيد وعاد إلى أرمينية، وتوفى سنة 185 هـ ورثاه شعراء كثيرون.

(5) الأربع جمع ربع وهو المنزل، والملاعب: أمكنة لعب الناس أو هبوب الرياح، وتذال: تهان.

(2)

عيِّن المقصور عليه في الجمل الآتية، وبين الفرق بينها في المعنى:

(أ) إنما يحِبُّ عليٌّ السباحة في الصباح. (ب) إنما يحب السباحة في الصباح عليّ.

(ج) إنما يحب علي في الصباح السباحة.

(3)

أيُّ الجملتين أبلغُ في مدح سعيد؟ وضح السبب:

(أ) إنما يجيد الْخِطابةَ سعيدٌ. (ب) إنما سعيد يجيدُ الخطابةَ.

(4)

اجعل الجمل الآتية مفيدة للقصر، ثم بين نوع القصر وطريقه:

(1) الفراغُ مفْسدةٌ. (2) بركةُ المال في أداءِ الزكاة.

(3) السلامة في التأني. (4) صداقةُ الجاهل تَعَبٌ.

(5) سكتُّ عن السَّفيه. (6) طُول التجارب زيادةٌ في العقل.

(7) يدُومُ السرور برؤية الإخوان. (8) غَدَرَكَ منْ دلَّكَ على الإساءةَ.

(9) يسُودُ المرءُ قومَه بالإحسان إليهم. (10) وضْعُ الإحْسان في غير موْضِعه ظلمٌ.

(5)

ما يسُرُّ الوالدين إلَّا نَجَابَةُ الأبناء.. متى يكون القصر في هذه الجملة قصر قلب؟ ومتى يكون قصر إفراد؟ ومتى يكون قصر تعيين؟

(6)

(1) اجعل الجملة الآتية دالة على قصر صفة على موصوف من غير أن تزيد على كلماتها شيئًا: نَحْترمُ العالِمَ العامِلَ.

(2) اجعل الجملة الآتية دالة على القصر واستخدم في ذلك طرق القصر التي تعرفها: مَللنا صُحْبة الجُهال.

(3) عِند البلاءِ يُعْرف الصّديقُ.

اجعل الجملة السابقة دالة على القصر مرة من طريق النَّفْي والاستثناء، ومرة من طريق العطف.

(7)

رُدَّ بأسلوب من أساليب القصر على من اعتقد أنَّ الأرض ثابتة، ثم بين نوع القصر وطريقه في الجملة التي تأتي بها.

(8)

وضِّح ما اشتملت عليه القصة الآتية من أنواع القصر، وطرقه، وبيِّن المقصورَ والمقصورَ عليه في كل جملة فيها قصر: زَعم العربُ أنَّ أَرْنبًا التقطت تمرةً فاختلسها الثَّعْلبُ فأكلها، فانْطلقا يختصمان إلى الضَّب، فقالت الأرنب: يا أبا الحِسْل[1]؛ فقال: سميعًا دعوْت؛ قالت: أتيناك نختصم؛ قال: عادلًا حكَّمتُما؛ قالت: فاخرج إلينا؛ قال: في بيته يُؤْتى الحكم[2]؛ قالت إنِّي وجدتُ تمرَة؛ قال: حُلْوة فكليها؛ قالت: فاختلسها ثعالَةٌ[3]؛ قال: لنفسه بغى الخيْر؛ قالت: فلطمْتُهُ لطْمَة، قال: بحقكِ أخذْتِ؛ قالت: فلَطمني أخْرى؛ قال: حرٌّ انتصر؛ قالت: فاقضِ بيننا؛ قال: قدْ فعلْتُ.

فذهبت أقواله كلُّها أمثالًا.

(9)

(1) هات جملتين لقصر الصفة على الموصوف بحيث يكون في الأُولى حقيقيًا وفي الثانية إضافيًا.

(2) هات جملتين لقصر الموصوف على الصفة بحيث يكون القصر فيهما إضافيًا.

(3) مثل لكل طريق من طرق القصر بمثالين يكون المقصور عليه في أولهما صفة، وفي ثانيهما موصوفًا.

(4) هات مثالين لقصر الموصوف على الصفة بحيث يكون طريق القصر في أولهما العطف ببل، وفي ثانيهما العطف بلكن.

(10)

اشرح البيتين الآتيين وبيِّن نوع القصر وطريقه فيهما، وهما لأبي الطيب في مدح أبي شجاع فاتك[4]:

---

(1) أبو الحسل: كنية الضب. (2) الحكم: الذي يحكم بين الناس. (3) ثعالة: لقب الثعلب.

(4) هو فاتك الكبير المعروف بالمجنون، كان روميًا أخذه الإخشيد كرهًا من سيده بلا ثمن، وأعتقه وأبقاه عنده حرًا في عداد مماليكه، وكان كريم النفس بعيد الهمة شجاعًا كثير الإقدام، ولذلك قيل له المجنون، ولما مات الإخشيد انتقل إلى الفيوم فاعتل بها جسمه وأحوجته العلة إلى الانتقال إلى مصر، فالتقى فيها بأبي الطيب المتنبي ووصله بالهدايا النفسية وسمع مدائحه، وتوفي سنة 350هـ.

لا يـدْرِكُ المجْدَ إلَّا سيِّدٌ فطِنٌ ... لِما يشُقُّ على السادات فعَّالُ[1]

لا وارثٌ جهلَتْ يُمْنَاهُ ما وهبتْ ... ولا كَسُوبٌ بغيْرِ السَّيْفِ سئّال

الفصل والوصل

(1) مواضع الفصل

الأمثلة

(1) قال أبو الطيب :

وَمَا الدَّهرُ إلا مِنْ رُوَاةِ قصائدي ... إذَا قُلتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدهرُ مُنْشِدَا[2]

(2) وقال أبو العلاء :

النَّاسُ للنَّاس مِنْ بَدوٍ وحاضِرَة ... بعضٌ لبعضٍ وإن لم يَشعُروا خدَم[3]

(3) وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: 2]

(4) وقال أبو العتاهية :

يا صاحبَ الدُّنْيَا الْمُحِبَّ لها ... أَنْـتَ الـذي لاَ ينقضي تَعَبُهْ

(5) وقال آخر :

وَإِنَّـمَـا الْـمَـرْءُ بـأَصْـغَـرَيْـه ... كُـلُّ امـرئ رَهْـنٌ بمَا لَـدَيْـهِ[4]

(6) وقال أبو تمام :

لَيْسَ الْحِجَابُ بمُقصٍ عنْكَ لي أَمَلًا ... إنَّ السَماءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتجِبُ[5]

(1) يشق: يصعب، والسادات: جمع سادة، جمع سيد.

(2) يقول: إن الدهر من جملة شعري، وذلك لأن ألسنة الناس جميعا تتناقله في كل وقت، فكأن الدهر إنسان ينشد قصائدي و يرويها.

(3) البدو : البادية، والحاضرة: ضد البادية وهي المدن والقرى والريف، يقال: فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية، ومعنى البيت أن الناس لا بد لهم من التعاون، فلا يتهيأ لإنسان أن يستقل في هذه الحياة بشؤون نفسه.

(4) الأصغران: القلب واللسان، ورهن بما لديه: يجازي بما عمل.

(5) المراد بالحجاب احتجاب الممدوح عن قصاده، ومقص: مبعد، وتحتجب: تختفي تحت الغيوم.

البحث

يقصد علماء المعاني بكلمة « الوصْل» عطفَ جملة على أخرى «بالواو» [1] كقول الأبيوَرْدي يخاطب الدهر :

فَالعَبْدُ رَيَّانُ مِنْ نُعْمى تَجودُ بِها ... والحرُّ ملتهبُ الأحشاءِ منْ ظمإِ[2]

و يقصدون بالفصل ترك هذا العطف، كقول المعري :

لا تَطْلُبَنَّ بآلةٍ لَكَ حاجةً ... قَلَمُ البليغ بغيْر حظِّ مِغْزَلُ

هذا ولكل من الفصل والوصل مواطنُ تدعو إليها الحاجة ويقتضيها المقام، و سنبدأ لك بمواطن الفصل: تأمل أمثلة الطائفة الأولى تجد بين الجملة الأولى والثانية في كل مثال تآلفًا تامًّا، فالجملة الثانية في المثال الأول، و هي «إذا قُلتُ شِعْرًا أصْبح الدهرُ مُنشِدًا» لم تجئ إلا توكيدًا للأولى، وهي جملة «وما الدهرُ إلا من رواة قصائدي» فإن معنى الجملتين واحد. والجملة الثانية في المثال الثاني «بعضٌ لبعض وإن لم يشعرُوا خدَمُ» ما جاءَت إلا لإيضاح الأولى «الناسُ للناس من بدو و حاضرة» فهي بيان لها، والجملة الثانية في المثال الثالث جزء من معنى الأولى لأن تفصيل الآيات بعضٌ من تدبير الأمور، فهي بدل منها، ولا شك أنك لَحَظْتَ أن الجملة الثانية مفصولة عن الأولى في كل مثال من الأمثلة الثلاثة، و لا سر لهذا الفصل سوى ما بينهما من تمام التآلف وكمال الاتحاد [3]. ولذا يقال: إن بين الجملتين **كمالَ الاتصال**. تأمل مثالي الطائفة الثانية تجد الأمر على العكس، فإنَّ بين الجملة الأولى والثانية في كل مثال منتهَى التباين و غايةَ الابتعاد، فإنهما في المثال الرابع مختلفان خبرًا وإنشاء. و هذا جلي واضح. أما في المثال الخامس فلأنه لا مناسبة بينهما مطلقا إذ لا رابطة في المعنى بين قوله: «وإنما المرءُ بأصغريه» و قوله: «كل امرئ رهن بما لديه»، وهنا تجد الجملة الثانية في كل من المثالين مفصولة عن الأولى، ولا سر لذلك إلا كمالُ التباين و شدةُ التباعد[4]، ولذلك يقال في هذا الموضع إنَّ بين الجملتين **كمالَ الانقطاع**. انظر إلى المثال

(1) إنما قصر علماء المعاني عنايتهم في هذا الباب على البحث في عطف الجمل « بالواو» دون بقية حروف العطف، لأنها هي الأداة التي تخفي الحاجة إليها، و يحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم و دقة في الإدراك، إذ أنها لا تدل إلا على مطلق الجمع والاشتراك، أما غيرها من حروف العطف فتفيد معاني زائدة، كالترتيب مع التعقيب في الفاء، والترتيب مع التراخي في ثم، وهلم جرا، ومن أجل ذلك سهل إدراك مواطنها.

(2) الريان : ضد الظمآن ، و النعمى : النعمة.

(3) لأن الجملة الثانية هنا إما أن تكون بمعنى الأولى أو بمنزلة الجزء منها كما رأيت، و هذا يقتضي ترك العطف لأن الشيء لا يعطف على نفسه، و الجزء لا يعطف على كله.

(4) إنما وجب ترك العطف هنا لأن العطف يكون للجمع بين الشيئين والربط بينهما. ولا يكون ذلك في المعنيين إذا كان بينهما غاية التباين.

الأخير تر أن الجملة الثانية فيه قوية الرابطة بالجملة الأولى، لأنها جواب عن سؤالٍ نشأ من الأولى، فكأن أبا تمام بعد أن نطق بالشطر الأول توهم أن سائلا سأله، كيف لا يحول حجاب الأمير بينك وبين تحقيق آمالك؟ فأجاب: «إنّ السماء ترجى حين تحتَجب» فأنت ترى أن الجملة الثانية مفصولة عن الأولى، ولا سر لهذا الفصل إلا قوة الرابطة بين الجملتين، فإن الجواب شديد الارتباط والاتصال بالسؤال، فأشبهت الحال هنا من بعض الوجوه حال كمال الاتصال التي تقدمت، و لذلك يقال إنّ بين الجملتين **شبهَ كمال الاتصال**.

القواعد

(62) الوصلُ عَطفُ جُملة عَلَى أخرَى بالواو، والفصلُ تَرْكُ هذا العطف، ولكلٍّ مِنَ الفَصْلِ والوصلِ مَوَاضِعُ خاصةٌ.

(63) يَجبُ الْفَصْلُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْن في ثَلاثَة مَواضعَ:

(أ) أَنْ يَكونَ بَيْنَهُمَا اتِّحادٌ تَامٌّ، وذلك بأنْ تكونَ الجمْلَةُ الثانيةُ تَوْكِيدًا للأولى، أَوْ بَيَانًا لها، أوْ بَدَلًا مِنْهَا، وَيُقَالُ حِينَئِذ إنَّ بَيْنَ الجملَتَين كَمَالَ الاتِّصَال.

(ب) أنْ يَكونَ بَيْنَهُمَا تَبَايُنٌ تَامٌّ، و ذلكَ بأنْ تَختلفَا خَبَرًا وإنشاءً، أوْ بألا تكونَ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ مَا، وَيُقَالُ حِينَئِذ إن بَيْنَ الجمْلَتَيْن كَمَالَ الانْقطَاع.

(جـ) أَنْ تَكونَ الثَّانيَةُ جوابا عَنْ سُؤالٍ يُفْهَم مِنَ الأولى، وَيُقَالُ حِينَئِذٍ إنَّ بَيْنَ الجمْلَتَيْن شِبْهَ كَمَال الاتِّصَال[1].

(2) مواضعُ الوصل

الأمثلة

(1) قال أَبو العلاء المعري :

وحــبُّ العيشِ أعْـبـدَ كـلَّ حرٍّ ... وعـلّـمَ ساغبًا أكـلَ الـمُـرار [2]

(2) وقال أبو الطيب :

وَللسرِّ مني مَـوْضِـعٌ لا يَنَالُهُ ... نَديمٌ وَلا يُفْضِي إلَيْهِ شَـرَابُ [3]

***

(1) ذهب بعض المتأخرين من علماء المعاني إلى زيادة موضعين للفصل على المواضع التي ذكرناها و لكن هذين الموضعين عند التأمل يمكن ردهما إلى الوضع الثالث.

(2) الساغب : الجائع، والمرار: شجر مر، يقول: إن حب الحياة يجعل الحر عبدا و يضطر الإنسان إلى احتمال الأذى.

(3) النديم : الجليس على الشراب، ويفضي: ينتهي، يقول: إنه كتوم للسر يضعه حيث لا يطلع عليه النديم و لا يكشف عنه الشراب.

(3) وقال:

يُشَمِّرُ لِلُّجٍّ عَنْ ساقِهِ ويَغْمُرُهُ المَوْجُ في السّاحِلِ[1]

(4) وقال بشارُ بن بُرد:

وأَدْنِ إلى القُربَى المُقَرَّب نَفْسَهُ ولا تُشْهِدِ الشُّورَى امْرَأً غيرَ كاتِمِ[2]

(5) لا وبارَكَ اللهُ فيك: «تجيبُ بذلك لمن قال: هل لكَ حاجة أساعدك في قضائها».

(6) لا ولطَفَ اللهُ بِهِ: «تجيبُ بذلك منْ قال: هل أبلِّغ أخوكَ منْ علته»؟.

البحث

تأمل الجملتين «أَعْبَدَ كُلَّ حرٍّ» و«علم ساغبا أكل المُرار» في البيت الأول، تجد أن للأولى منهما موضعا من الإعراب لأنها خبر للمبتدأ قبلها، وأن القائل أراد إشراك الثانية لها في هذا الحكم الإعرابي، وتأمل الجملتين: «لا يناله نديم» و«لا يقضي إليه شراب» في البيت الثاني تجد أن للأولى أيضا موضعا من الإعراب لأنها صفة للنكرة قبلها، وأنه أريد إشراك الثانية لها في هذا الحكم، وإذا تأملت الجملة الثانية في كل من البيتين وجدتها معطوفة على الجملة الأولى موصولة بها . و كذلك يجب الوصل بين كل جملتين جاءتا على هذا النحو. انظر في البيت الثالث إلى الجملتين: «يشمِّر للُجٍّ عن ساقه» و«يغمُره الموج في الساحل» تجدهما متحدتين خبرًا متناسبتين في المعنى[3] وليس هناك من سبب يقتضي الفصل ولذلك عطفت الثانية على الأولى، والمثال الرابع كذلك مكون من جملتين متحدتين إنشاء هما: «أدْنِ» و«لا تشهد» وهما متناسبتان في المعنى وليس هناك من سبب يقتضي الفصل، ولذلك عطفت الثانية على الأولى، هكذا يجب الوصل بين كل جملتين اتحدتا خبرًا أو إنشاء وتناسبتا في المعنى ولم يكن هناك ما يقتضي الفصل بينهما. انظر في المثال الخامس إلى الجملتين: «لا» و«بارك الله فيك» تجد أن الأولى خبرية[4] والثانية إنشائية[5]. وأنك لو فصلت فقلت: «لا بارك الله فيك» لتوهم السامع أنك تدعو عليه في حين أنك تقصد الدعاء له، و لذلك وجب العدول عن الفصل إلى الوصل. وكذلك الحال في جملتي المثال الأخير، وفي كل جملتين اختلفتا خبرًا وإنشاء وكان ترك العطف بينهما يوهم خلاف المقصود.

(1) اللج : معظم الماء، و البيت مثل يضرب لمن تحدثه أطماعه بإدراك المطالب العظيمة و هو يعجز عن اليسيرة.

(2) يقول : قرب من يتقرب إليك بعقله و كماله، و لا تستشر أمام من لا يكتم الأسرار.

(3) يراد بالتناسب أن يكون بين الجملتين رابطة تجمع بينهما، كأن يكون المسند إليه في الأولى له تعلق بالمسند في الثانية، وكأن يكون المسند في الأولى مماثلا للمسند في الثانية أو مضادا له.

(4) «لا» في هذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية إذ التقدير « لا حاجة لي» وكذلك يقال في المثال الثاني .

(5) جملة «بارك الله فيك» خبرية لفظا إنشائية معنى، والعبرة بالمعنى.

القاعدة

(64) يَجبُ الوَصْلُ بيْنَ الجملتين في ثَلاثَة مَوَاضعَ:

(أ) إذَا قُصدَ إشرَاكُهمَا في الحُكم الإعرابي.

(ب) إذا اتفقَتَا خبرًا أوْ إنشاء وكانت بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ تَامةٌ، وَلَم يَكُن هُنَاكَ سَبَبٌ يقتضي الفصلَ بَيْنَهُما.

(جـ) إذَا اختلَفَا خَبرًا و إنشاءً وَأوْهَمَ الفَصلُ خِلاف الْمَقصود.

نموذج

لبيان مواضع الوصل والفصل فيما يأتي مع ذكر السبب في كل مثال:

(1) قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6].

(2) وقال الأحنف بن قيس: لا وفاءَ لكذوب ولا راحة لحسود.

(3) وقال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ﴾ [الذاريات: 28][1].

(4) وجاء في الحكم: كفى بالشيب داءً. صلاحُ الإنسان في حفظ اللسان.

(5) وينسبُ للإمام علي كرم الله وجهه: دَعِ الإسْرَافَ مُقْتَصداً، وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَداً، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ.

(6) و لأبي بكر رضي الله عنه: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وُلِّيتُ عليكمْ ولَسْتُ بخيركم.

(7) وقال أبو الطيب:

إنّ نُـيُـوبَ الـزّمَـانِ تَعْرِفُني ... أنَا الذي طالَ عَجْمُها عُودي [2]

(8) لا وكُفيتَ شرَّها. «تجيب بذلك من قال: أذهَبتِ الحُمَّى عن المريض؟».

(9) قال تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: 132 - 134].

(1) أوجس منهم خيفة: أحس منهم خوفا.

(2) عجم العود: عضه ليعرف أصلب هو أم رخو، يقول: قد طالت صحبتي للزمان و قد جربني و عرف صلابتي وصبري على نوائبه.

(10) وقال أبو العتاهية :

قَدْ يـدرِكُ الرَّاقِدُ الهادِي برقْدَتِه ... وقَدْ يخيبُ أخُو الرَّوْحاتِ والدُّلَجِ [1]

(11) وقال الغُزِّي يشكو الناس:

يصدُّون في البأساءِ من غَيْرِ عِلَّةٍ ... ويمتثلون الأمرَ والنهيَ في الخفْض [2]

(12) وقال أبو العلاء المعري:

لا يُعجِبَنَّكَ إقبالٌ يُريكَ سَنَاً ... إنّ الخُمودَ لعَمْري غايةُ الضَّرَم [3]

(13) يقولونَ إنّي أحملُ الضيْمَ عِنْدهم ... أعوذُ بربِّي أنْ يُضامَ نظيري [4]

(14) وقال تعالى : ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [إبراهيم: 6][5].

(15) وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 3-4].

الإجابة

(1) فصل بين الجملتين، جملة : ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾، وجملة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأن بينهما كمال الاتصال إذ أن الثانية لا توكيد للأولى.

(2) وصل بين الجملتين لاتفاقهما خبرا وتناسبهما في المعنى. ولأنه لا يوجد هناك ما يقتضي الفصل.

(3) فصلت جملة ﴿قَالُوا۟﴾ عن جملة ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ لأن بينهما شبه كمال الاتصال، إذ الثانية جواب لسؤال يفهم من الأولى، كأن سائلا سأل : فماذا قالوا له حين رأوه و قد داخله الخوف؟ فأجيب ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾.

(4) فصل بين الجملتين لأنَّ بينهما كمالَ الانقطاع، إذ لا مناسبة في المعنى بين الجملة الأولى والجملة الثانية.

(5) وصل بين الجمل الأربع لاتفاقها إنشاءً مع وجود المناسبة، و لأنه لا يوجد هناكَ سببٌ يقتضي الفصل.

---

(1) الروحات: جمع روحة اسم بمعنى الرواح، و هو السير آخر النهار من راح يروح ضد غدا يغدو. و الدلج : جمع دلجة من أدلج إذا سار من أول الليل، يقول قد يدرك القاعد مطالبه ويخيب المجد الساعي.

(2) البأساء: الشدة، و الخفض : الدعة و النعيم.

(3) السنا: ضوء البرق، و خمود النار: سكون لهبها، و الضرم: اشتعال النار و التهابها.

(4) الضيم: الذل.

(5) يسومونكم سوء العذاب: يحملونكم إياه.

(6) فصل بين الجملتين: « أيها الناس»، «إني ولِّيت عليكم» لاختلافهما خبرا و إنشاء فبينهما كمال الانقطاع، ووصل بين الجملتين:«وليت عليكم» و«لست بخيركم» لأنه أريد إشراكهما في الحكم الإعرابي إذ كلتاهما في محل رفع، وإذا كانت الواو للحال فلا وصل.

(7) فصل بين شطري البيت، لأن الثاني منهما جواب عن سؤال نشأ من الأولى، فبينهما شبه كمال الاتصال.

(8) وصل بين جملتي لا، وكفيت، لاختلافهما خبرًا و إنشاء، و في الفَصْل إيهام خلاف المقصود، فبينهما كمال الانقطاع مع الإبهام.

(9) بين جملة ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ و جملة ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ كمال الاتصال؛ فإن الثانية منهما بدل بعض من الأولى، إذ الأنعام و البنون و الجنات والعيون بعض ما يعلمون.

(10) ووصل أبو العتاهية بين الجملتين لأنهما اتفقتا في الخبرية، وبينهما مناسبة تامة، وليس هناك ما يقتضي الفصل.

(11) كذلك وصل الغَزِّي بين شطري البيت لما تقدم.

(12) وفصل أبو العلاء بين شطري البيت لأن بينهما كمال الانقطاع، إذ الجملتان مختلفتان خبرًا و إنشاءً.

(13) بين جملة « يقولون إني أحمل الضيْمَ » و جملة «أعوذ بربي أن يضام نظيري» شبه كمال الاتصال، لأن الثانية جواب عن سؤال نشأ من الأولى، فكأن الشاعر بعد أن أتى بالشطر الأول من البيت أحس أنَّ سائلًا يقول له: « و هل ما يقولونه من أنك تتحمل الضيم صحيح؟»، فأجاب بالشطر الثاني.

(14) بين جملة:﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ وجملة: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ كمال الاتصال فإن الثانية منهما بدل بعض من الأولى.

(15) فصل الله تعالى بين الجملتين في الآية الكريمة ،لأن بينهما كمال الاتصال فإن الجملة الثانة بيان للأولى.

تمرينات

(1)

بَيِّن مواضعَ الوصل فيما يأتي و وضح السبب في كلِّ مثال،

(1) قال بعض الحكماء: العبْدُ حُرٌّ إذا قنع، و الحرُّ عبدٌ إذا طمِع.

(2) وقال ابن الرومي:

قد يسبقُ الخيرَ طالبٌ عَجِلٌ ... ويـرهَـقُ الشرُّ مُمعِنًا هَـرَبُـهْ [1]

(3) وقال أبو الطيب :

الـرأيُ قَبلَ شَجاعةِ الشجعانِ ... هُـو أوّلٌ وهْـيَ المحلُّ الثاني

(4) وخطب الحجاج فقال: « اللّهم أَرِني الغَيّ غيًّا فأجتنبَه، وأَرِني الهُدَى هُدًى فأتّبعَه، ولا تَكِلني إلى نَفسي فأضلّ ضلالًا بعيداً.

(5) وقال الشريف الرضي في الرثاء:

أَعَلِمْتَ مَنْ حملُوا عَلى الأعْوَادِ ... أَعَلِمْت كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النّادِي [2]

(6) وقال حسان بن ثابت الأنصاري :

أَصُـونُ عِرْضِي بمالِي لا أُدَنِّسُهُ ... لا بارَكَ اللهُ بَعْدَ العِرْضِ في المالِ [3]

أَحْتالُ للمالِ إنْ أَوْدَى فأَكْسِبُهُ ... ولسْتُ للعِرْضِ إنْ أَوْدَى بِمُحتالِ [4]

(7) وقال النابغة الذبياني يرثي أخاه من أمّه :

حَسْبُ الخَلِيلَيْنِ نَأْيُ الأرضِ بَيْنَهُما ... هذا عَلَيْها وهذا تَحْتَها بالي [5]

(8) وقال الطُّغرائي :

يا واردًا سُـؤْرَ عيشٍ كلُّه كدرٌ ... أنفَقْتَ عُمْرَكَ في أيامكَ الأُول [6]

(9) لاَ الدَّمعُ غاضَ وَلا فُؤادُكَ سَالى ... نَـزلَ الْحِمَامُ عَرِينةَ الرِّئْبالِ [7]

(1) يرهقه : يغشاه و يلحقه، و الممعن في الشيء: المبعد، يقول: كثيرا ما يفوت الخير من هو شديد الحرص في طلبه، و يقع في الشر من يهرب منه.

(2) الأعواد جمع عود و المراد بها النعش، و خبا الضياء : انطفأ.

(3) العرض بالكسر : النفس و قيل الحسب و ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه، يقول : إني أصون نفسي عما يدنسها ببذل ما أملكه من المال.

(4) أودي : تلف؛ يقول: إن المال إذا تلف استطعت العمل لكسبه ثانية، أما العرض إذا تدنس فلا أستطيع تطهيره من الدنس الذي لحقه.

(5) حسب الخليلين : أي كفاهما، و النأي: البعد، و البالي: الممزق الأعضاء، يقول: كفاني وأخي حيلولة الأرض بيننا، فأنا حي فوقها و هو بالي الجسم تحتها، و هذا نهاية البعد.

(6) سؤر العيش : بقيته.

(7) الحمام : الموت، و العرينة: مأوى الأسد، و الرئبال : الأسد.

(10) و قالت زينب بنت الطَّثَرِيَّة [1] ترثي أخاها:

وقَدْ كان يُـرْوِي المَشْرَفِيَّ بكَفِّهِ ... ويَبْلُغُ أَقْصَى حَجْرَةِ الحَيِّ نائِلُهْ [2]

(11) و قال أبو الطيب :

أعَزُّ مَكانٍ في الدُّنَا سَـرْجُ سابحٍ ... وَخَيرُ جَليسٍ في الزّمانِ كِتابُ [3]

(12) العينُ عبرَى و النفوسُ صوادي ... ماتَ الحجا و قضَى جلالُ النادي [4]

(13) و قال رجل من بني أسد في الهجاء:

لا تحسبِ المجْد تمرًا أنت آكِلُه ... لنْ تبلغَ المجدَ حتى تلعقَ الصَّبِرَا [5]

(14) و قال عُمارة اليمني [6]:

وغَـدْرُ الفتى في عَهْدِه ووفائه ... وغَدْرُ المواضي في نُبُوِّ المضارب [7]

(15) وقال تعالى في قصة فرعون وردِّ موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: 23-26].

(16) وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ [لقمان: 7] [8].

(2)

(1) لم يعيبُ الناس العطف في الشطر الثاني من أبي تمام؟

لا والـذي هـوَ عالمٌ أنَّ النوَى ... صَبِرٌ وأنَّ أَبَـا الحُسَيْنِ كَرِيمُ

---

(1) أبوها الصمة : و الطثرية أمها، و يزيد أخوها، و هي شاعرة مجيدة من شواعر الإسلام، و لها في أخيها يزيد مراث جيدة.

(2) المشرفي : السيف، الحجرة: الناحية، النائل : العطاء؛ تقول: إنه كان عظيم البأس كثير الجود.

(3) الدنا : جمع دنيا، السابح: الفرس سريع الجري، يقول: سرج الفرس أعز مكان؛ لأن صاحبه يجاهد عليه في طلب المعالي، و الكتاب خير جليس لأنه مأمون الأذى.

(4) عبرى : باكية ، الصوادي: جمع صادية أي ظمأى، الحجا: العقل، قضى: مات .

(5) الصبر بالكسر الباء : عصارة شجر مر، يقول: لا تظن أن طريق المجد سهل يسلكه أمثالك، كلا، إن دون المجد صعابا لا يتغلب عليها إلا ذوو الهمم العالية.

(6) مؤرخ ثقة و شاعر فقيه أديب، قدم مصر سنة 550هـ فاحسن الفاطميون إليه فأقام عندهم ومدحهم و لم يزل موالیا لهم حتى دالت دولتهم ، ثم تآمر هو و سبعة من المصريين على مقاومة السلطان صلاح الدين، فصلبه معهم سنة 569هـ و له ديوان شعر كبير.

(7) المواضي : السيوف القاطعة، نبو المضارب : عدم قطعها.

(8) الوقر: الثقل في السمع.

(2) لم يحسنُ أنْ نقول: عليٌّ خطيبٌ و سعيدٌ شاعرٌ، ويقبحُ أن نقولَ: عليٌّ مريضٌ وسعيدٌ عالمٌ ؟

(3)

(1) هات ثلاثة أمثلة للجمل المفصول بينها لكمال الاتصال، واستوف المواضع الثلاثة التي يظهر فيها هذا الكمال.

(2) هات مثالين للجمل المفصول بينها لشبه كمال الاتصال.

(3) هات مثالين للجمل المفصول بينها لكمال الانقطاع.

(4)

(1) مثل بمثالين لكل موضع من مواضع الوصل.

(5)

انثُر البيتين الآتيين وبين سبب ما فيهما من فصلٍ ووصل، وهما لأبي الطيب في مدح سيف الدولة :

يا مَنْ يُقَتِّلُ مَنْ أرَادَ بسَيْفِه ... أصْبَحتُ منْ قَتلاكَ بالإحْسانِ

فإذا رَأيتُكَ حارَ دونَكَ نَاظِري ... وَإذا مَدَحتُكَ حارَ فيكَ لِساني

الإيجازُ والإطنابُ والمساواةُ

(1) المُساواةُ

الأمثلة

(1) قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 110].

(2) و قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: 43][1].

(3) وقال النابغة الذبيانيُّ :

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الذي هو مُدْرِكِي ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتَأى عَنْكَ واسِعُ [2]

(1) يحيق: من قولهم حاق به الشيء إذا أحاط به.

(2) المنتأى: موضع البعد، و هو اسم مكان من انتأى عنه أي بعد. يخاطب النابغة الذبياني النعمان بن المنذر، و يشبهه في حال سخطه بالليل في أنه يعم كل موطن و ذلك لسعة ملك النعمان و بسطة نفوذه فلا يفلت منه أحد.

(4) و قال طَرَفةُ بنُ العَبْد :

سَتُبْدِي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهِلًا ويأْتِيكَ بالأَخْبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ[1]

البحث

يختارُ البليغُ للتعبير عما في نفسه طريقًا من طرق ثلاث، فهو تارة يوجز، و تارة يُسْهِبُ، و تارة يأتي بالعبارة بَين بَيْن، على حسب ما تقتضيه حال المخاطب ويدعو إليه موْطنُ الخطاب، نريد هنا أن نشرح هذه الطرق الثلاث، و سنبدأ بالمساواة لأنها الأصل المقيسُ عليه. تأمل الأمثلة المتقدمة تجد الألفاظ فيها بقدر المعاني، وأنك لو حاولت أن تَزيد فيها لفظا لجاءت الزيادة فضلا، أو أردتَ إسْقاط كلمة لكان ذلك إخلالا، فالألفاظ في كل مثال مساوية للمعاني، ولذلك يُسَمَّى أداءُ الكلام على هذا النحو **مساواة**.

القاعدة

(75) الْمُسَاوَاةُ أَنْ تكونَ المعاني بقدرِ الأَلْفَاظِ، والألفاظُ بقَدْرِ المعاني، لا يَزيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعضٍ

(2) الإيجاز

(1) قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]

(2) وقال صَلَّى الله عليه وسَلَّم: « الضَّعيفُ أَميرُ الرَّكْب»[2].

(3) وقيل لأعرابي يَسوقُ مالًا[3] كثيرًا: لِمَنْ هَذا الْمالُ؟ فقالَ: للهِ في يدي.

***

(4) وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: 22]

(5) وقال تعالى: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [ق: 1-2].

(6) و قال تعالى: في حكاية موسى عليه السلام مع ابنتي شُعَيْب ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: 24-25].

البحث

تأمل أمثلة الطائفة الأولى تجدْ أن ألفاظها في كل مثال على قلتها جمعت معاني كثيرةً متزاحمة، فالمثال الأول تضَمَّن كلمتين اسْتَوعبتا جميع الأشياء والشئون على وجْهِ

(1) من لم تزود : أي من لم تعطه زادا، و الزاد طعام المسافر، يقول : إن عشت فستعلمك الأيام ما لم تكن تعلم، و يأتيك بالأخبار من لم توجهه في طلبها.

(2) الركب: جماعة المسافرين. (3) المال: كل ما ملكته، ويطلق عند الأعراب على الإبل.

الاستقصاء. حتى لقد رُوِىَ أن ابن عمَر رضي الله عنه قرأها فقال: «منْ بقي له شيء فَلْيطلبه».
والمثال الثاني آية في البلاغة والحسن، فقد جمع من آداب السفر و العطف على الضعيف ما لا يسهل على البليغ أن يُعبِّر عنه إلا بالقول المُسْهَب الطويل. وكذلك الحال في المثال الثالث. وهذا الأسلوب من الكلام يسمَّى **إيجازاً**. ولما كان مدار الإيجاز هنا على اتساع الألفاظ القليلة للمعاني المتكاثرة والأغراض المتزاحمة، لا على حذَف بعض كلمات أو جمل، سميَ **إيجاز قِصَر** . تأمل أمثلة الطائفة الثانية تجد أنها موجَزَةٌ أيضا، وإذا أردت أن تَعْرف سِرَّ الإيجاز فيها فانظر إلى المثال الأول تجد أنه قد حُذف منه كلمة، إذ تقدير الكلام فيه: و جاءَ أمر ربك، وانظر إلى المثال الثاني تجد أنه حُذف منه جملة هي جواب القسم، إذ تقدير الكلام ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ لَتُبْعثن. أما المثال الثالث فالمحذوف فيه جمل عدة، و نَظم الكلام من غير حذف أن يقال: فَذهبتَا إلى أبيهما، و قصتا عليه ما كان من أمر موسى، فأرسل إليه، ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾. ولما كان سببُ الإيجاز في هذه الأمثلة هو الحذف سُمِّي **إيجاز حذف**، ويشترط في هذا النوع من الإيجاز أن يقوم دليل على المحذوف، و إلا كان الحذفُ رديئاً والكلامُ غيرَ مقبول.

القاعدة

(66) الإيجازُ جَمْعُ المعاني المُتكاثِرَةِ تَحتَ اللَّفْظِ الْقَليلِ مَعَ الإبانةِ وَالإفْصاحِ، وَهُوَ نوْعَان:
(أ) إيجازُ قِصَر ، و يكون بتَضمين العِبارَاتِ الْقَصيرَةِ معاني قَصيرَةٍ مِنْ غَيْرِ حَذْفٍ .
(ب) إيجاز حَذْفٍ ، ويَكونُ بحَذْفِ كلِمَةٍ [1] أو جملةٍ أوْ أكثرَ مَعَ قَرينَةٍ تُعَيِّن الْمَحْذُوفَ.

نموذج

لبيان نوع الإيجاز في العبارات الآتية :

(1) قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ [الأنعام: 82].
(2) و قال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: 85].
(3) و قال تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: 31].
(4) و قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [آل عمران: 106].
(5) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: 31].

(1) الكلمة المحذوفة إما حرف، وإما فعل، وإما اسم، والاسم المحذوف قد يكون مضافا، أو موصوفا، أو صفة.

(6) وقال أبو الطيب :

أَتَـى الـزَّمَـانَ بَـنُـوهُ في شَبِيبَتِهِ فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلى الـهَـرَمِ[1]

(7) أكلتُ فاكهةً و ماءً.

الإجابة

(1) في الآية إيجاز قصر، لأن كلمة ﴿ٱلْأَمْنُ﴾ يدخل تحتها كل أمر محبوب، فقد انْتَفَى بها أن يخافوا فقرًا، أو موتاً، أو جوْرا، أو زوال نعمة، أو غير ذلك من أصناف المكاره.

(2) في الآية إيجاز حذف، لأن المعنى «تالله لا تفتأ تذكر يوسف» فحذف حرف النفي.

(3) في الآية إيجاز قصر، فقد دل الله سبحانه بكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتا و متاعًا للناس من العُشب والشجر والحطب واللباس والنار و الماء.

(4) في الآية إيجاز حذف، فقد حُذف جوابُ أمَّا، وأصل الكلام : «فيقال لهم: أكفرتم بعد إيمانكم».

(5) في الآية إيجاز بحذف جواب لو، إذ تقدير الكلام لكان هذا القرآن.

(6) في البيت إيجاز بحذف جملة، و التقدير: و أتيناه على الهَرم فسأءنَا.

(7) في العبارة إيجاز بحذف جملة، إذ التقدير: و شَربْت ماءً.

تمرينات

(1)

بيِّن نوع الايجاز فيما يأتي ووضح السبب:

(1) قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ [المؤمنون: 91].

(2) وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199][2]

(3) وقال عليه الصلاة والسلام. « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » .

(4) وقال تعالى في وصف الجنة: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: 71].

(1) يقول : إن بني الزمان من الأمم السالفة جاءوا في حداثة الدهر فسرهم، و نحن أتيناه و قد هرم فلم يبق عنده ما يسرنا به.

(2) خذ العفو: أي خذ الميسور من أخلاق الرجال ولا تستقص عليهم

(5) و قال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ ﴾ [سبأ: 51][1]

(6) و قال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [فاطر: 4].

(7) و قال صلى الله عليه وسلم: «الطمعُ فقرٌ واليأسُ غِنًى».

(8) و قال علي كرم الله وجهه: «آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ».

(9) ويُنْسب للسَّمَوْءل:

وإنْ هُو لَمْ يَحْمِلْ على النَّفْسِ ضَيْمَها ... فَلَيْسَ إلى حُسْنِ الثَّناءِ سبيلُ[2]

(10) و قال تعالى في وصف انتهاء حادثة الطوفان: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: 44][3].

(2)

بيِّنْ جمالَ الإيجاز فيما يأتي و اذكر من أيِّ نوع هو:

(1) كتب طاهرُ بن الحسين إلى المأمون وكان واليَهُ على عُمَّاله بعد هَزْمه عسْكر علي بن عيسى بن ماهان [4] و قتله إياه: كتابي إلى أمير المؤمنين، ورأسُ علي بن عيسى بن ماهان بين يدي، وخاتمُهُ في يدي، و عسكرُه مُصرَّف تحت أمري والسلام.

(2) و خطب زياد [5] فقال: أيها الناس لا يَمْنَعكم سوءُ ما تَعْلمون منَّا أن تنْتفعوا بأحْسَنِ ما تسمعون منّا.

(3)

بيِّن ما في التوقيعات [6] الآتية من جمال الإيجاز:

(1) وقَّع أبو جعفر المنصور في شكوى قوم من عاملهم: كما تكونوا يؤمَّر عليكم [7].

(2) وكتب إليه صاحبُ مِصْر بنُقْصان النيل فوقَّع: طهِّرْ عسْكرَكَ من الفسادِ يعطِكَ النيلُ القيادْ [8].

---

(1) الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم يقول له: لو ترى حال الكفار عند الموت لرأيتها مزعجة. و معنى قوله فلا فوت: فلا مهرب لهم من العذاب.

(2) يقول: إذا كان المرء لا يصبر النفس على مكارهها لم يكن هناك سبيل إلى اكتسابه الحمد.

(3) أقلعي: كفي عن المطر، و غيض الماء: نضب، و الجودي: جبل بأرض الجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام عند انتهاء الطوفان.

(4) علي بن عيسى بن ماهان من كبار القادة في عصر الرشيد و الأمين، و هو الذي حرض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد، وسيره الأمين لقتال المأمون بجيش كبير فقتله طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون سنة 195هـ.

(5) أمير خطيب مصقع، و هو من القادة الفاتحين و الولاة الدهاة، أسلم في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم ألحقه معاوية بنسبه فكان عضده الأقوى، و ولاه البصرة و الكوفة و سائر العراق وتوفي سنة 53هـ.

(6) التوقيع: رأى الحاكم يكتبه على ما يعرض عليه من شئون الدولة. (7) أمره عليهم: جعله أميرا.

(8) القياد: حبل يقاد به.

(3) ووقع على كتاب لعامله على حمص و قد كثُر فيه الخطأ: استبدِلْ بكاتبِك، وإلا أستُبْدِل بك[1].

(4) وكتب إليه صاحبُ الهند أنَّ جُنْدًا شغبوا عليه [2] و كَسروا أقْفالَ بيتِ المال، فَوقِّع: لو عدلْت لَمْ يشْغبُوا، ولو وفَيْت لَمْ ينتهبُوا [3].

(5) ووقع هارون الرشيد إلى صاحب خُراسان: داوِ جُرْحكَ لا يتسعْ.

(6) ووقع في قصة البرامكة: أنْبتَتْهم الطاعةُ، و حصدَتْهُم المعصيةُ.

(7) وكتب إبراهيم بن المهْدي في كلام للمأمون: إن عفوْتَ فبفضْلِك، وإن أخذتَ فبحقك. فوقَع المَأمون: القُدْرة تُذهبُ الحفيظَة [4].

(8) ووقع زِياد بنُ أبيه في قصة مُتظلم: كُفِيتَ.

(9) ووقّع جعفر بن يحيى [5] لعامل كَثُرَتِ الشكوى منه: كثُر شاكوك، و قلَّ شاكرُوك، فإما عدلْت، وإمَّا اعْتَزَلْت.

(10) ووقع في قصة محبوس: العَدْلُ أوْقعه، والتوبةُ تطلقه

(4)

اقرأ الحكاية الآتية وبين وجه الإيجاز و نوعه فيما يعرض فيها من أمثال:

كَان لرجل من الأعراب اسمه ضَبَّةُ ابنان. يقال لأحدهما سعْد و للآخر سُعيْد، فنَفَرتْ إبل لضبة فتفرق ابناه في طلبها، فوجدها سعد فردها، فمضى سُعيْد في طلبها، فلقيه الحارث بنُ كعب، وكان على الغلام بُرْدان؛ فسأله الحارث إياهما فأبى عليه فقتله وأخذ برديْه، فكان ضبَّة إذا أمسى ورأى تحت الليل سوادًا قال: أسعد أمْ سُعيْد؟ فذهب قوله مثلا يُضرب في النجاح والخيبة، ثم مكث ضبة بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه حج فوافى عُكاظ، فلقي بها الحارثَ ابن كعب، ورأى عليه بُرْدي ابنه سُعيْد، فعرفهما، فقال له: هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال لقيت غلامًا يوما وهما عليه، فسألته إياهما فأبى عليَّ فقتلته فأخذتهما، فقال ضبة: بسيفك هذا؟ قال: نعم، قال: أرنيه فإني أظنه صارماً؟ فأعطاه الحارث سيفه، فلما أخذه هزَّه وقال: الحديثُ ذو شُجُون [6] ثم ضربه به فقتله، فقيل له يا ضَبة: أفي الشهر الحرام؟ فقال: سبقَ السيفُ العذل [7] فهو أول من سارت عنه هذه الأمثال الثلاثة.

(1) أي اتخذ مكان كاتبك كاتبا آخر ، و إلا أقيم مكانك عامل آخر.
(2) الشغب: تهييج الشر.
(3) الانتهاب : النهب و الأخذ.
(4) الحفيظة: الحمية و الغضب.
(5) هو أحد مشهوري البرامكة و مقدميهم، ولد في بغداد و نشأ بها، ثم استوزره هارون الرشيد و ألقى إليه مقاليد الدولة. فانقادت له الأمور و ما زال كذلك حتى غضب الرشيد على البرامكة فقتله في جملتهم سنة 178هـ، و هو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق و بلاغة القول و كرم اليد و النفس.
(6) أي ذو طرق، الواحد شجن، يضرب هذا المثل في الحديث يتذكر به غيره.
(7) العذل : الملامة.

(5)

(1) هات ثلاثة أمثلة لإيجاز القصر وبين وجه الإيجاز في كل منها.

(2) هات ثلاثة أمثلة لإيجاز الحذف، بحيث يكون المحذوف في المثال الأول كلمة وفي الثاني جملة، وفي الثالث أكثر من جملة، وبين المحذوف في كل مثال.

(6)

بيِّن ما في قول أبي تمام في المديح من بلاغة وإيجاز:

ولو صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لم تَزِدْها ... على ما فيكَ من كرمِ الطباعِ

(3) الإطناب

الأمثلة

(1) قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾ [القدر: 4][1].

(2) وقال تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [نوح: 28].

(3) وقال: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ [الحجر: 66].

***

(4) وقال عنترة بن شداد في بعض روايات معلقته:

يَدْعُونَ عَنْتَرَ والرِّمَاحُ كأنها ... أشْطانُ بِئْرٍ في لَبَانِ الأدْهَمِ[2]

يَدْعُون عَنْتَرَ والسُّيُوفُ كأنها ... لَمْعُ البَوَارِقِ في سَحَابٍ مُظْلِمِ

(5) وقال النابغة الجَعدي[3]:

ألا زَعَمَتْ بَنُو سَعْدٍ بأنِّي ... - أَلا كَذَبُوا - كَبيرُ السنِّ فإني

(6) وقال الحطيئة:

تَزُورُ فَتًى يُعطِي على الحَمدِ مالَه ... ومنْ يعطِ أثمانَ المَحامِدِ يُحمَدِ

(7) وقال ابنُ نُباتة السعدي:

لم يُبْقِ جودُكَ لي شيئًا أُؤمِّلُهُ ... تركتني أصحبُ الدُّنيا بلا أَمَلِ

***

(1) الروح: جبريل عليه السلام. (2) أشطان البئر: حباله، ولبان الأدهم: صدر الفرس.

(3) هو حسان بن قيس الجعدي، شاعر قديم معمر أدرك الجاهلية و الإسلام، وأسلم وحسن إسلامه وأنشد النبي صلى الله عليه و سلم فأعجب به، وقال له: لا يفضض الله فاك.

(8) وقال ابن المعتز يصف فرساً:

صَبَبْنَا عليْهَا - ظَالِمِينَ - سِيَاطَنَا فطَارَتْ بها أَيْـدٍ سِـرَاعٌ وأَرجُـلُ

البحث

عرفتَ فيما سبق معنى الإيجاز؛ ونريد هنا أن نشرح لك نوعًا آخر من الأساليب يقابله ويُضادُّه فتزيد فيه الألفاظ على المعاني لغرض بلاغي. تأمل المثال الأول تجد لفظ « الروح» فيه زائدًا، لأن معناه داخل في عموم اللفظ المذكور قبله وهو الملائكة، وانظر في المثال الثاني تجد أن لفظ «لي و لوالدي» زائد أيضاً، لدخول معناه في عموم المؤمنين والمؤمنات، وكذلك يشتمل كل مثال من الأمثلة الباقية على زيادة لفظية ستعرفها فيما يأتي، وسترى أيضا أنَّ هذه الزيادة لم تجئ عبثا، وإنما جاءَت لِلطيفة من اللطائف البلاغية التي تزيد قيمة الكلام وترفع من معانيه، وأداءُ الكلام على هذا الوجه يُسمىَّ إطناباً. ارجع إلى الأمثلة وابحث فيها واحدًا واحدًا تجد طرق الإطناب فيها مختلفة: فطريقه في المثال الأول ذكر الخاص بعد العام، فقد خَص الله سبحانه وتعالى الروح بالذكر وهو جبريل مع أنه داخل في عموم الملائكة تكريما له وتعظيما لشأنه كأنه جنس آخر، ففائدته الزيادة هنا التنويه بشأن الخاص. وطريقه في المثال الثاني ذكر العام بعد الخاص فقد ذكر الله سبحانه وتعالى المؤمنين و المؤمنات، وهما لفظان عامان يدخل في عمومهما من ذكر قبل ذلك والغرض من هذه الزيادة إفادة الشمول مع العناية بالخاص لذكره مرتين، مرة وحده ومرة مندرجا تحت العام. و طريقه في المثال الثالث الإيضاح بعد الإبهام فإن قوله تعالى : ﴿ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴾ إيضاح للإبهام الذي تضمنه لفظ « الأمر» و ذلك لزيادة تقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين، و مرة على طريق الإجمال والإبهام، ومرة عن طريق الإيضاح والتفصيل. و طريقه في بيتي عنترة التكرار لتقرير المعنى في نفس السامع وتثبيته، ويظهر هذا الغرض في الخطابة، وفي موطن الفخر و المدح و الإرشاد والإنذار، و قد يكون التكرار لدواع أخرى، منها التحسر كما في قول الحسين بن مطير [1] يرثي معن بن زائدة :

فيا قبرَ معنٍ أنـت أولُ حُـفْـرَةٍ من الأرضِ خُطَّتْ للسماحة مَوْضِعا[2]

ويا قبرَ مَعْنٍ كيف وارَيْـتَ جودَهُ وقد كان منه البَرُّ والبحرُ مُتْرَعَا؟

و منها طولُ الفصل كما في قول الشاعر :

(1) شاعر عاش في الدولتين الأموية و العباسية، و له مدائح في رجالهما، و كان من أحسن أهل البادية زيًا و كلامًا، توفي سنة 169 هـ بعد معن زائدة و له رثاء فيه.

(2) خطت للسماحة موضعا : أي اتخذت لتكون موضعا للكرم و الجود.

لَقَدْ عَلِمَ الحَيُّ اليَمَانونَ أَنَّنِي إِذا قُلْتُ أَمَّا بعدُ أَنِّي خَطِيبُها[1]

وطريقه في المثال الخامس **الاعتراض**، وهو أن يؤتَى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لغَرض يقصد إليه البليغ، فجملة «ألا كذبوا» قد جاءت في بيت النابغة بين اسم إن و خبرها للإسراع إلى التنبيه على كذب من رماه بالكِبَر، وقد يكون من أغراض الإعراض الإسراع إلى التنزيه، نحو: إن الله- تبارك وتعالى- لطيف بعباده، وقد يكون للدعاء نحو إني- وقاك اللهُ- مريضٌ. وطريقه في المثالين السادس والسابع **التذييل**، وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيدًا لها، فإن المعنى في كلا البيتين قد تم في الشطر الأول، ثم ذُيِّل بالشطر الثاني للتوكيد. وإذا تأملت التذييل في المثالين وجدتَ بينهما بعض الخلاف. وذلك أن التذييل في المثال الأول مستقل بمعناه لا يتوقف فهمه على فهم ما قبله، ويقال له إنه **جار مجرَى المثل**. أما في المثال الثاني فهو غير مستقل بمعناه، إذ لا يفهم الغرضُ منه إلا بمعونة ما قبله، و يقال لهذا النوع إنه **غير جار مجرَى المثل**. تأمل المثال الأخير تجد أننا لو أسقطنا منه كلمة «ظالمين»، لتوهم السامع أن فرس ابن المعتز كانت بليدة تستحق الضرب،و هذا خلاف المقصود وتسمَّى هذه الزيادة في البيت **احتراسا**، وكذلك كل زيادة تجيء لدفع ما يوهمه الكلام مما ليس مقصوداً.

القاعدة

(67) الإطنابُ زيادَةُ اللفْظِ عَلَى المَعنَى لفائدة [2] وَيكُونُ بأمور عِدة منْها:

(أ) ذِكْرُ الخَاصِّ بَعْدَ العام للتَّنبيه عَلَى فَضْلِ الْخَاصِّ.

(ب) ذِكْرُ العَامِّ بَعدَ الخَاصِّ لإفادَةِ العُمُوم معَ الْعنايةِ بشَأن الخاصِّ.

(جـ) الإيضاحُ بَعْدَ الإبهام، لتقرير الْمَعْنَى في ذهن السامع.

(د) التكرار لِدَاع: كتمكينِ الْمَعنَى من النفس، وكالتَّحَسُّر، وكَطُولِ الْفَصل.

(هـ) الاعْتِرَاضُ، وهُو أنْ يؤْتَى في أثْناء الكلاَم أوْ بَيْنَ كلاميْنِ مُتَّصِلَيْن في المعنى بجُمْلَةٍ أوْ أكْثر لا مَحَلَّ لها منَ الإعراب [3].

---

(1) اليمانون : المنسوبون إلى اليمن.

(2) فإذا لم تكن في الزيادة فائدة سميت « تطويلا» إن كانت الزيادة غير متعينة، « و حشوا» إن كانت متعينة، فالتطويل كما في قول عنترة بن شداد :

حييت من طلل تقادم عهده أقوى و أقفر بعد أم الهيثم

و الحشو كما في قول زهير بن أبي سلمى :

و اعلم علم اليوم و الأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي

(3) و يجب أن يكون للبليغ في الاعتراض غرض يرمي إليه غير دفع الإبهام، فإن كان الغرض دفع الإبهام كان احتراسا.

(و) التَّذْيِيلُ، وهوَ تعقيبُ الجملة بجملَة أخرَى تَشْتَمِلُ على مَعْنَاهَا تَوْكيدًا لها، وهُوَ قِسْمان:

(1) جَارٍ مَجْرَى الْمَثَلِ إنِ اسْتَقَلَّ مَعْناهُ و استغنى عَمَّا قبلَهُ.

(2) غيْرُ جَارٍ مجرَى المَثَلِ إن لَم يَسْتَغن عَما قَبلَهُ.

(ز) الاحتراسُ، وَيَكُونُ حيْنما يأتي المتكلم بمَعْنى يُمكِنُ أنْ يَدخلَ عَلَيْهِ فيه لَوْم، فَيَفْطِنُ لذلكَ ويأتي بما يُخَلِّصُهُ منْهُ.

نموذج

بين نوع الإطناب فيما يأتي :

(1) قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: 97-99].

(2) وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء: 34-35].

(3) وقال أبو الطيب :

إنّي أُصَاحِبُ حِلمي وَهْوَ بي كَرَمٌ ... وَلا أُصاحِبُ حِلمي وَهوَ بي جُبُنُ

(4) وقال النابغة الجعْدي يهجو :

لَـو أنّ الباخلينَ وأنـت منهمْ ... رَأوك تعلَّموا منك المِطالاَ

(5) وقالت أعرابيةٌ لرجل: كَبَتَ اللهُ كُلَّ عَدُوٍّ لك إلاّ نَفْسَكَ .

(6) و قال تعالى ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴾ [الشعراء: 128-133].

الإجابة

(1) في الآية إطناب بالتكرار في معْرض الإنذار لتقرير المعنى في نفوس السامعين.

(2) في الآية إطناب بالتذييل في موضعين: أولهما قوله تعالى: ﴿ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ وهذا تذييل لم يجر مجرى المثل، و الثاني قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ و هو جار مَجْرَى المثل.

(3) في البيت إطناب بالاحتراس في موضعين: أولهما في الشطر الأوَّل بذكر «وهو بي كرم»، وثانيهما في الشطر الثاني بذكر «وهو بي جُبن».

(4) في البيت إطناب بالاعتراض. فقد جاءت جملة: « وأنت منهم» معترضة بين اسم إن وخبرها للإسراع إلى ذم المخاطَب.

(5) هنا إطناب بالاحتراس، لأن نفس الإنسان تجري مجْرى العدو له، فإنها تدعوه إلى ما يُوبقه.

(6) في الآية إطناب بالإيضاح بعد الإبهام فإن ذكر الأنعام و البنين توضيح لما أبهم قبل ذلك في قوله: ﴿ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾.

تمرينات

(1)

وضّح الغرض من التكرار في كل مثل من الأمثلة الآتية:

(1) قال بعض شعراء الحماسة:

إلَى معْدِن العزِّ المؤثَّل والندَى ... هناك هناك الفضلُ و الخُلُقُ الجزْل[1]

(2) و قالت أعرابية ترثي ولديها:

يا من أحسَّ بُنَيَّ اللذين هما ... كالدُّرَّتَين تشظَّى عنهما الصَّدف[2]

يا من أحسَّ بنيَّ اللذين هما ... سَمْعي وطَرْفي فَطَرْفي اليوم مُخْتَطَفُ[3]

(3) و قال عمرو بن كلثوم[4] في معلقته:

بِأَيِّ مَشِيْئَةٍ عَمْرُو بْنَ هِنْدٍ[5] ... نَكُوْنُ لِقَيْلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا[6]

بِأَيِّ مَشِيْئَةٍ عَمْرو بْنَ هِنْدٍ ... تُطِيْعُ بِنَا الوُشَاةَ وَتَزْدَرِينَا[7]

(4) قال تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: 5-6].

(2)

بين مواطن الاعتراض وفائدته في الأمثلة الآتية:

(1) معدِن العز: موطنه و مركزه، و المؤثل: المؤصل و المعظم، و الخلق الجزل: الطبع القوي الكريم.

(2) تشَظّى الصدف: تطاير شظايا، والشظايا، جمع شظية، وهي الفلقة من العصا ونحوها.

(3) الطرف: البصر.

(4) شاعر جاهلي و هو من فحول الشعراء في الجاهلية و من فرسانها و أشرافهم، و هو صاحب المعلقة التي أولها «ألا هبي بصحنك فاصبحينا».

(5) هو ملك الحيرة، وكان جبارًا عنيدًا لا يرى في الناس من يدانيه في الشرف والمنزلة، وقد أراد أن يستذل عمرو بن كلثوم باتخاذ أمه وصيفة لأمه، فثارت الحمية في قلب عمرو بن كلثوم، فجرد سيفه وضرب الملك فقتله.

(6) القيل: الملك دون الملك الأعظم و جمعه أقيال، و القطين: الخدم، يقول: كيف تطمع أن نكون خدما لمن وليت علينا من الأمراء على ما تعلم من عزنا.

(7) يقول: كيف تطيع الوشاة فينا و تحتقرنا على ما تعلم من قلة صبرنا على احتمال الضيم.

(1) قال العباس بن الأحنف:

إن تـمَّ ذا الهجرُ يا ظلومُ ولا تَمَّ فمالي في العيش منْ أرَب[1]

(2) و قال أبو الفتح البُسْتي[2]:

إذَا حَـمِـدَ الكريمُ صباحَ يوم وأنـىّ ذاكَ لم يحْمَدْ مـسـاءَهْ[3]

(3) وقال أبو خراش الهُذَلي[4] يذكر أخاه عُرْوة:

تقولُ أراهُ بَـعْـدَ عُـرْوَةَ لاهِيًا وذلـك رُزْءٌ لو عَلِمْت جَليلُ

فلا تَحْسَبِي أنِّي تَناسَيْتُ عَهْدَهُ ولكنَّ صَبْرِي يا أُمَيْمُ جَميلُ[5]

(4) واعـلَـمْ فَعِلْمُ الْـمَـرء يَنْفَعُهُ أنْ سَـوْفَ يأتي كُلُّ ما قُـدِرا[6]

(3)

بيِّن مواطن التذييل و نوعه في كل مثال من الأمثلة الآتية:

(1) قال أبو تمام يُعزي الخليفة في ابنه:

تَـعَـزَّ أمـيـرَ المُؤمنين فـإنَّـهُ لِما قد تَرَى يُغْذَى الصبيُّ ويُولَدُ[7]

هـلِ ابـنُـكَ إلاّ مِـن سُـلالَـةِ آدمٍ لكلٍّ على حَـوْضِ المَنِيَّةِ مَـوْرِدُ

(2) و قال إبراهيم بن المهدي في رثاء ابنه:

تَـبـدَّلَ دارًا غيْرَ داري و جيرةً سـوايَ و أحْـداثُ الزَّمان تَنُوبُ

(3) فإنْ أكُ مقتُولا فكُنْ أنْتَ قاتلي فبعضُ منَايا القَومِ أكرمُ مِنْ بعْض

(4) وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ: 17].

(1) ظلوم: اسم امرأة.

(2) شاعر عصره و كاتبه، نسب إلى بوست (قرب سجستان) و قد ولي كتابة ديوانها، ثم انتقل إلى بخاري فمات فيها سنة 400هـ و له ديوان شعر.

(3) يقول: إن الدهر قلب لا يدوم على حال، فإذا سر إنسانًا في صباح يومه أساء إليه في مساته، ومن سره زمن ساءته أزمان.

(4) هو خويلد بن مرة أحد بني هذيل، وهو من فرسان العرب وفتاكهم، شاعر مخضرم، أسلم وهو شيخ كبير يوم حنين، وكان عداء، و خراش ابنه، و عروة أخوه.

(5) الصبر الجميل: هو الذي لا شكوى فيه.

(6) أن في البيت مخففة من الثقيلة، و ضمير الشأن محذوف، يقول: إن المقدور آت لا محالة و إن تأخر، وفي هذا تسلية وتسهيل للأمر.

(7) تعز: تصبر، يقول تصبر: يا أمير المؤمنين، فإن الموت سبيل كل حي، و الصبي لا يولد و لا يغذى إلا استعدادا للموت.

(4)

بيِّن مواطن الاحتراس وسبب الإتيان به في الأمثلة الآتية:

(1) قال أبو الحسين الجزار [1] في المديح:

ويهْتزُّ للجَدْوَى إذا ما مَدَحْتُهُ كمااهتزَّ،حاشاوصفه،شاربُالخمر

(2) وقال آخر:

وما بي إلى ماءٍ سوى النيلِ غُلةٌ ولـو أنـهُ أستغفرُ الله زمـزمُ

(3) وقال عنترة:

يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقِيعَةَ أَنَّنِي أَغْشَى الوَغَى وأَعِفُّ عِنْد المَغْنَمِ [2]

(4) و قال كعب بن سعيد الْغَنَوي:

حَلِيمٌ إذا ما الحِلْمُ زَيَّـنَ أَهْلَهُ مَعَ الحِلْمِ في عَيْنِ الرجالِ مَهِيبُ [3]

(5)

بيِّن مواقع الإطناب والغرض منه فيما يأتي:

(1) قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ﴾ [النحل: 90].

(2) و قال أيضا: ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ [البقرة: 238].

(3) و قال الشاعر:

والسَّعْيُ في الرِّزْقِ والأَرْزاقُ قد قُسِمَتْ بَغيٌ أَلا إنَّ بَغيَ المَرءِ يَصرَعُهُ

(4) و قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ [الانفطار: 17-18].

(5) و قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ [غافر: 38-39].

(6) و قال تعالى: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ [القصص: 32].

(1) شاعر مصري رقيق، تظهر في شعره خفة الروح المصرية، ولد سنة 601هـ ومات سنة 672هـ.

(2) الوقيعة: القتال، والوغى في الأصل: صوت المقاتلة في الحرب ثم استعمل في الحرب نفسها، يقول: إنه يغشى الحرب شجاعة، فإذا كانت الغنيمة كف عفة؛ لأنه لا يقاتل لأجلها.

(3) يقول: هو حليم في المواطن التي يحمد فيها الحلم، و هو حلمه مهيب في أعين الرجال.

(7) و قال الحماسي:

أسجْنًا وقَيْدًا واشْتياقًا وغُرْبةً ونَـأْيَ حبيب؟ إنَّ ذَا لَعظيمُ
وإن امـرأً دَامـت مَواثيقُ عَهْدِه عَـلَـى مِـثْـلِ هـذا إنَّـه لَكريمُ

(8) و قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ ﴾ [طه:120].

(9) و قال إبراهيم بن المهدي في رثاء ابنه:

و إنِّـي وإن قُـدِّمْـتَ قَبْلي لعالمٌ بأنِّي و إن أُخِّـرْتُ مِنْك قريبُ

(10) قال تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل: 57].

(11) و قال أوس بن حجر[1]:

ولَـسْـتُ بخابىءٍ أبـدًا طَعامًا حِـذارَ غَـدٍ، لكلِّ غَـدٍ طَعامُ

(12) و قال تعالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: 104].

(13) و قال تعالى: ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التغابن: 14].

(14) و قال تعالى: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [يوسف: 53].

(15) قال تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف: 4].

(6)

بين ما تراه في الأبيات الآتية من العيوب البلاغية:

(1) قال أبو نواس:

أقَمْنا بها يَـوْمًـا ويـومًـا وثالثًا ويومًا له يومُ الترحُّلِ خَامِسُ[2]

(2) و قال النابغة في وصف دار:

تَـبَـيَّـنْـتُ آيـاتٍ لها فَعَرَفْتُها لِسِتَّةِ أعْـوامٍ وذا العامُ سابِعُ

(1) من شعراء الجاهلية و فحولها يجيد في شعره ما يريد، و هو من الطبقة الثانية، و عمر طويلا و كانت وفاته أول ظهور الإسلام.

(2) يريد أنهم أقاموا ثمانية أيام، عد منها ثلاثة في الشطر الأول، ثم أضاف إليها خمسة في الشطر الثاني، لأنه يقول إننا أقمنا بعد الثلاثة الأيام الأولى يوما له يوم الرحيل خامس، أي خمسة أيام أخرى.

(3) و قال أبو العتاهية :

ماتَ واللهِ سعيدُ بْن وهب ... رحِم اللهُ سعيدَ بْن وهْب

يا أبا عُثمان أبكَيْتَ عيني ... يا أبا عُثمانَ أوجعْتَ قلبي

(7)

تدبر الكلام الموجز الآتي ثم ضعه في أسلوبين من إنشائك يكون في أحدهما مساويًا لمعناهُ، و في الآخر زائدًا على معناه، أما بعدُ، فعِظِ الناسَ بفعلِكَ، واَسْتَحْي من اللهِ بقدْر قُربِه منك، و خَفْه بقدر قدْرته عليك.

(8)

لماذا كان كلُّ مثال به فصل لكمال الاتصال ضربًا من الإطناب؟ مَثِّل بأمثلة مختلفة، وبيِّن نوع الإطناب في كل مثال.

(1) هات مثالين للإطناب بذكر الخاص بعد العام، وآخرين للإطناب بذكر العام بعد الخاص، وبيِّن فائدة الزيادة التي تضمنها الكلام في كل مثال.

(2) هات مثالين للاعتراض، وبيِّن فائدته في المثالين.

(3) هات أربعة أمثلة للتكرار الحسن، وبين غرضك منه في كل مثال، واستوف أغراض التكرار التي عرفتها.

(4) هات مثالين للتذييل الجاري مجرَى المثل، وآخرين للتذييل الذي لم يجر مجرَى المثل.

(5) هات مثالين للاحتراس.

(9)

اشرح بَيْتي المتنبي في وصف شعب بَوَّان[1]، وبيِّن نوع الإطناب فيها :

مَلاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا ... سُلَيْمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجُمَانِ[2]

طَبَتْ فُرْسَانَنَا وَالخَيلَ حتى ... خَشِيتُ وَإنْ كَرُمنَ من الحِرَانِ[3]

(1) شعب بوان: موضع عند شيراز، كثير الشجر والمياه ويعد من جنان الدنيا.

(2) الجنة: الجن، جعل الشعب لغرابة مناظره كانه منزل للجن، ويقول: إن لغة أهله بعيدة عن الأفهام حتى لو أتاهم سليمان مع علمه بلغات الجن لا حتاج إلى من يترجم له.

(3) طباه: دعاه واستماله، والحران في الدابة: أن تقف مكانها فلا تبرح.

أثر علم المعاني في بلاغة الكلام

نستطيع هنا بعد الدراسة السابقة أن نلخص لك مباحث علم المعاني في أمرين اثنين:

الأول: أنه يبين لك وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها، ويُريك أنَّ القول لا يكون بليغًا كيفما كانت صورته حتى يلائم المقام الذي قيل فيه، ويناسب حال السامع الذي أُلقي عليه، وقديما قال العرب: لكل مقام مقال. فقد يؤكد الخبر أحيانًا كما علمت، وقد يُلقى بغير توكيد، على حسب حال السامعِ مِنْ جَهْل بمضمون الخبر أو تردد أو إنكار. ومناهضة هذا الأصل بلا داع نُشوزٌ عما رُسم من قواعد البلاغة. انظر إلى قوله تعالى في شأن رُسل عيسى عليه السلام حين بعثهم إلى أهل أنطاكية: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: 13-16]. فإن الرسل حين أحسُّوا إنكارهم في المرة الأولى اكتفوا بتأكيد الخبر «بإن». فقالوا: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ فلما تزايد إنكارهم وجحودهم قالوا: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ فأكدوا بالقسم وإنَّ واللام. وقد تَخفَى هذه الدقائق على غير أهل اللغة، رُوي أن الكندي [1] ركب إلى أبي العباس المبرِّد [2] وقال له: إنِّي أجدُ في كلام العربِ حَشْواً!

فقال أبوالعباس: أين وجدت ذلك؟ فقال: وجدتهم يقولون عبد الله قائم، ثم يقولون إن عبد الله قائم، ثم يقولون: إن عبد الله لقائم، فالألفاظ مكررة والمعنى واحد؛ فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة، فالأول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن السؤال، والثالث ردٌّ على مُنْكر. كذلك يوجب علم المعاني أنْ يخاطب كل إنسان على قدر استعداده في الفهم ونصيبه من اللغة والأدب، فلا يجيز أن يخاطب العاميُّ بما يخاطب به الأديب الملمُّ بلغة العرب وأسرارها. قال بعضهم لبشار بن بُرد: إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت؛ قال: وما ذاك؟، قال: بينما تثير النقع وتخلع القلوب بقولك:

إذا ما غَضِبْنا غَضبةً مُضَريَّةً ... هَتَكْنا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تُمْطِرُ الدَّمَا

إذا ما أَعَـرْنـا سَـيِّـدًا مِـن قَبيلَةٍ ... ذُرَا مِنبَرٍ صَلَّى عَلَيْنا وسَلَّما

(1) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق فيلسوف العرب، كان معاصرا للمأمون والمعتصم والمتوكل، وله عندهم منزلة سامية، برع في الطب والفلسفة والحساب والمنطق وطبائع الأعداد وعلم النجوم، نبغ وليس في المسلمين فيلسوف غيره، وحذا في تأليفه حذو أرسطو.

(2) هو شيخ أهل النحو والعربية، وله التآليف النافعة في الأدب، وكان حسن المحاضرة مليح الأخبار كثير النوادر، وتوفي سنة 285هـ.

نراك تقولُ:

ربـــابـــةُ ربَّـــةِ الـــبـــيْـــتِ تـــصُـــبُّ الـــخـــلَّ فـــي الـــزيـــتِ
لَـــهَـــا عـــشـــرُ دجـــاجـــاتٍ وديـــــكٌ حـــســـنُ الـــصَّـــوْتِ

فقال بشار: لكلٍّ وجْهٌ وموضع، فالقول الأول جدٌّ، والثاني قلتُه في ربابة جاريتي، وأنا لا آكل البيْض من السوق، وربابة لَهَا عشر دجاجات وديكٌ فهي تجمع لي البيض، فهذا القول عندها أحْسنُ من «قفا نَبك مِنْ ذكرى حبيب ومنْزِل» عندك!

وكثيرًا ما تجد الشَّاعر يسْهُلُ أحْيانًا ويلين حتى يُشْبه شِعره لغة الخطاب، ويخشُن آونة ويصلُبَ حتى كأنه يقذفك بالجَلْمَد، كل ذلك على حسب موضوعه الذي يقول فيه، والطبقة التي يُنشدها شعرَه. ومن خير الأمثلة لهذا النوع أبونواس، فإنه في خمرياته غيرُه في مدائحه ووصفه. واعتبر هذا الأصل بما كان من النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه لما أراد أن يَكتب إلى مَلك فارس اختار أسهل الألفاظ وأوضحها فقال: «من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلامٌ على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأدعوكَ بدعاية الله، فإنِّي أنا رسول الله إلى الخلق كافَّة لينذر من كان حيًّا ويحق القولُ على الكافرين، فأسلمْ تسلم، فإن أبيْتَ فإثْمُ المجوس عليك». وحين أراد أن يكتب إلى أُكَيْدِر صاحب دومة الجندل فَخَّم الألفاظ وأتى بالجزْل النادر فقال: «من محمد رسول الله لأكيْدِر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام، إن لنا الضَّاحية[1] من البَعْل[2] والبُور[3] والمعَامي[4] وأغفالَ الأرض[5] والْحَلقة[6] والسلاح، ولكم الضَّامنَةُ من النَخل[7] والمعين[8] من المعمور، لا تُعدل سارِحَتكم[9] ولا تُعَدُّ فارِدَتكم[10] ولا يُحظَرُ عليكم النَّبات، تقيمون الصلاة لوقتها وتؤدون الزكاة، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه».

وتكون مطابقة الكلام لمقتضى الحال أيضًا فما يتصرف فيه القائل من إيجاز وإطناب: فللإيجاز مواطنه، وللإطناب مواقعه، كل ذلك على حسب حال السامع وعلى مقتضى مواطن القول؛ فالذكيُّ الذي تكفيه اللمحة يحسن له الإيجاز، والغبيُّ أو المكابر يجمل عند خطابه الإطناب والإسهاب. وإذا تأملت القرآن الكريم رأيته إذا خاطب العرب والأعراب

(1) الضاحية (من النخل): النخلة البارزة الظاهرة الخارجة عن أسوار المدينة والعمران.
(2) البعل: النخل الراسخة عروقه في الأرض. (3) البور: الأرض الخراب التي لم تزرع.
(4) المعامي: جمع معمى وهي الأراضي المجهولة.
(5) أغفال الأرض: الأراضي التي لا أثر للعمارة فيها. (6) الحلقة، بسكون اللام: السلاح عاماً.
(7) الضامنة من النخل: ما كان داخلا في العمارة وأطاف بها سور المدينة.
(8) المعين: الماء الجاري على وجه الأرض وقيل الماء العذب الكثير.
(9) لا تعدل سارحتكم. السارحة: الماشية، يريد أن ماشيتهم لا تصرف عن مرعى تريده.
(10) لا تعد فاردتكم. الفاردة: الزائدة على الفريضة، يقول: لا تضم فاردتكم إلى غيرها فتعد معها وتحسب.